تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

واقع المجتمعات المسلمة من عدم تعظيم الله تعالى

اسم الباحث

د / أحمد الويزة المغربي

د. أحمد الويزة المغربي

واقع المجتمعات المسلمة

من عدم تعظيم الله تعالى

المقدمة

الحمد لله ذي العظمة والجبروت، والملك والملكوت، قاهر العباد بالموت. بعث محمّدًا عليه الصلاة والسلام، وشرَّفه، وأعلىٰ شأنه. وأنزل كتابَه، وعظَّمه، ورفع قدره. والصَّلاة والسلام علىٰ النَّبيِّ المعظَّم، والرَّسول المُكَرَّم، محمَّد بن عبد الله، وعلىٰ آله، وصحبه. وعلىٰ كلِّ مَن لربِّه قدَّس، ولكتابه أكرم، ولنبيِّه اتبع، وعظَّم،،

أمَّا بعد؛ فانَّ تعظيم الله أعلىٰ مقامات الإيمان وأجلىٰ تجليات العبودية لله العظيم الرَّحمن. فهي سرُّ الخضوع ولبُّ الخشوع، وباعث الاستلام، ودافع الانقياد والالتزام. وبه تصان الحُرُمات، ولا تهان. لكنَّا في هذا الزَّمان ابتلينا بقوم لا يرجون لله وقارًا، كما قال نوحٌ لقومه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]. قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة. وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته؟ وقال الكلبي: لا تخافون لله عظمة[1]. فكان الحال باعثا علىٰ التحرك من أجل رم صدع بنيان التعظيم، ورد الناس الىٰ المنهج القويم، ليعود للتعظيم الالهي مجده، وتؤوب الأمة إلىٰ حق الله من التمجيد والتقديس والتنزيه.

وقد كان هذا المؤتمر المبارك في اختياره الموفق في طرحه حيث رام منظموه الاشتغال علىٰ هذا الأمر الخطير؛ حيث انتشرت مظاهر عدم التعظيم وساد في الأمة الاستهانة بالحرمات والمقدسات التي عظم الله شأنها ورفع قدرها. حيث وقع اختيار اللجنة في مؤتمرها العالمي الثاني علىٰ هذا الموضوع الذي كان تحت عنوان: **تعظيم الله تعالىٰ في هدايات القرآن الكريم**. وقد كان من محاوره دراسات ميدانية عن واقع المجتمعات من تعظيم الله وسبل العلاج. فانتدبت نفسي للبحث في هذا المحور لجرد ما تيسر من صور عدم تعظيم الله المنتشرة في واقع الناس، ثم رصد الأسباب التي أدت بكثير من المسلمين الىٰ الوقوع في أعمال تعارض واجب التعظيم لرب العالمين، ثم حاولت تقديم بعض الحلول بما يفتح الله، والتي أرىٰ أنها ناجعة من أجل الحد من الظاهرة، ولنشر قيم تعظيم الله وتقديره في نفوس المسلمين عامة والناشئة خاصة. كل ذلك انطلاقا من هدايات آي القرآن.

وإن إذ أبذل جهدي مع اعترافي بالتقصير لأبرز محاور هذا العرض أرجوا أن يكون عملي هذا في ميزان حسناتي وميزان حسنات المنظمين لهذا اللقاء العملي غيرة لله ولدينه.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٤).

وقد عملت علىٰ إيضاح كل مظهر من مظاهر عدم تعظيم الله ذكرته انطلاقا من أي القرآن وأقوال أهل العلم حتىٰ يتبين وجهه وتتضح حقيقته ويظهر بجلاء أنه مظهر فعلا تكلم عنه العلماء ووضحوه. وفيما يتعلق بالأسباب والحلول رمت فيها الاختصار في البيان والنقول بما يحقق المقصود ويفي بالغرض، والله الموفق والهادي لسواء السبيل.

المحور الأوّل: مظاهر عدم تعظيم الله في المجتمعات المسلمة

المظاهر كثيرة جمة تتفاوت كبرا وصغرا، وسأعرضها بحسب مراتبها، ولعل أعلاها ما كان له تعلق بجانب العقيدة. فمن ذلك:

اتخاذ الشفعاء والأنداد من دون الله:

فإن اتخاذ الشفعاء والأنداد من دون الله هضم لحق الربوبية، وتنقص للعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح]، فإنهم ظنوا به ظن السوء حتىٰ أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده، ولهذا أخبر سبحانه وتعالىٰ عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره وكيف يقدره حق قدره من اتخذ من دونه ندًا، أو شفيعًا يحبه ويخافه ويرجوه، ويذل له، ويخضع له ويهرب من سخطه ويؤثر مرضاته ويدعوه ويذبح له وينذر[1].

وإنما كان ذلك هضمًا لحق الربوبية، وتنقصًا لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، لأن المتخذ للشفعاء والأنداد إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلىٰ مَنْ يدبّر أمر العالم، وهذا أعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته، وكل ما سواه فقير إليه بذاته، وإما أن يظن أن الله سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشفيع، وإما أن يظن أنه لا يعلم حتىٰ يعلمه الشفيع، أو لا يرحم حتىٰ يجعله الشفيع يرحم، أو لا يكفي وحده، أو لا يفعل ما يريد العبد حتىٰ يشفع عنده كما يشفع عند المخلوق، أو لا يجيب دعاء عباده حتىٰ يسألوا الشفيع أن يرفع حاجتهم إليه، كما هو حال ملوك الدنيا. وهذا أصل شرك الخلق، أو يظن أنه لا يسمع حتىٰ يرفع الشفيع إليه ذلك، أو يظن أن للشفيع عليه حقًا، فهو يقسم عليه بحقه، ويتوسل إليه بذلك الشفيع، كما يتوسل الناس إلىٰ الأكابر والملوك بمن يعز عليهم، ولا تمكنهم مخالفته، وكل هذا تنقص للربوبية، وهضم لحقها. ذكر معناه ابن القيم[2].

وإنّ التوجه لهم طلبا لجلب نفع أو دفع ضر سواء بالدعاء أو القرابين والذبائح بما هو من خصائص الالوهية تنقص، ووجه ذلك ان الإنسان يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله،

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٢٨)

(٢) نفس المصدر (٢٢٩).

وهو استهانة بقدرة الله وعدم يقين في عطائه وإرادته. يقول القرطبي في تفسير سورة الفاتحة: ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عبده، لأن ها تضمنت تذلل العبد وطلب الاستعانة منه، وذلك يتضمن تعظيم الله تعالىٰ[١]. كما ان المتقرب بالذبح يفعل ذلك تعظيما، ولا ينبغي ذلك إلا لله لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر].

محبة الكفار ومشاركتهم في أعيادهم وأفراحهم:

فمن وقار الله أن لا تعدل به شيئا من خلقه لا في اللفظ ولا في الحب والتعظيم والإجلال[٢]. فترىٰ المسلمين اليوم يسارعون في محبة الكفار من الاصدقاء والمغنين والممثلين واللاعبين وأحيانا تكون محبتهم لهم تفوق محبتهم لله وللمؤمنين، بل تجد جمهورا عريضا من المسلمين اليوم يهرعون إلىٰ الاحتفال برأس السنة الميلادية التي لها تعلق بميلاد الرب عند النصارىٰ الذين يعتقدون أن عيسىٰ ابن الله، وهذا العمل من المسلمين دليل علىٰ عدم تعظيم الله في وحدانيته، وأنه لم يلد ولم يولد، وهم الذين لم يفتؤوا يقرؤون سورة الإخلاص. لكن بدون معنىٰ في القلب المفضي لتعظيم الله عز وجل. وهذا مظهر صارخ من مظاهر عدم تعظيم الله عز وجل، يقول سبحانه، ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن: ٣].

سبُّ الربِّ والدِّين:

لعل مما انتشر بشكل مرعب بين المسلمين اليوم وخصوصا الشباب، سبّ الرَّبّ والملّة لسبب أو لغير سبب، عند الشجار أو النزاع أو الخلاف، ويلعنون الدهر عند حلول المشاكل، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرِ»[٣]. وفي الحديث القدسي قال الله: «يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي اللَّيلُ وَالنَّهَارُ»[٤]. وهذا من أقبح مظاهر عدم تعظيم الله، فالله تعالىٰ نهىٰ المسلمين عن سبِّ آلهة الكفَّار وهي أهلٌ لذلك، حتَّىٰ لا يُؤدِّي ذلك إلىٰ سبِّ الله من جهة الكفَّار، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. فكيف بمن يسبُّ الله وهو معدود من المسلمين، ويسب الدين هو محسوب علىٰ ملة الإسلام.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٩٤).
(٢) الفوائد (١٨٨).
(٣) مسند أحمد (٩١٣٧)، صحيح مسلم (٢٢٤٦).
(٤) صحيح البخاري (٦١٨١)، صحيح مسلم (٢٢٤٦).

ولقد رأينا الكثير من الجرأة في سب الله ودينه في وسائل الاعلام المرئي والمسموع، وما يكتب من مقالات، وما يؤلف من روايات وبحوث وقصائد شعرية، بالإضافة إلىٰ ما يقع في التمثيل والمسرح والغناء، وغير ذلك مما يصدر ممن ينسبون أنفسهم إلىٰ الحداثة والتحرر.

تشبيه الله لمخلوقاته ونفي صفاته:

يقول ابن الوزير: وقد تقرّر في قواعد أهل الإسلام نفي التَّشبيه عن ذات الله تعالىٰ وصفاته وأفعاله، وتقرر أن المراد بنفي التَّشبيه تعظيم الرَّبّ -جلَّ وعزَّ- في ذاته وصفاته وأفعاله لا نفي الصفات والأسماء والممادح. يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. فهذه الآية تقتضي تعظيم الله وإجلاله وتقديسه بتنزيهه عن ما لا يليق به من الأوصاف، يقول ابن القيم لهؤلاء: ولا تتجاوزوا القرآن والحديث وتتبعوا في ذلك سبيل السلف الماضين الذين هم أعلم الأمة بهذا الشأن نفيا وإثباتا وأشد تعظيما لله وتنزيها له عما لا يليق بجلاله[(١)]. يقول الذهبي: وإنما كمال التنزيه تعظيم الرب -عزَّ وجلَّ- ونعته بما وصف به نفسه تعالىٰ[(٢)].

فلا يليق أن يشبه أحد يد الله بيد المخلوقين، ومن يجترئ أن يقول: إنها تشبه أيدي المخلوقين إلا من ابتلي بالزيغ والضلال وعدم تعظيم الرب -عزَّ وجلَّ-، وعدم قدره سبحانه وتعالىٰ حق قدره، كما قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، فقد وصف الله -عزَّ وجلَّ- يده بهذه العظمة: أنَّ الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه فكيف يقال يد كأيدينا!![(٣)] وعلىٰ هذا تقاس باقي صفات الله تعالىٰ.

ذكر ألفاظ شركية أو لا تليق بتعظيم الله:

من قبيل «ليس لي إلا الله وفلان»، «ولولا الله وفلان»، «والله لا يعطي الحمص إلا لمن لا أضراس له»، «وما شاء الله وشئت» كما في حديث عن حذيفة[(٤)]، احترازا عما يوهم المساواة.

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٢٢٩).

(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ٢٤٥).

(٣) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (١٣٣).

(٤) عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**لا تقولوا ما شاء الله، وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان**». مسند أحمد (٢٣٢٦٥).

فكم من فهم لم ينشأ عنه مثل هذا إلا عن قلة تعظيم الرب الجليل جَلَّجَلَالُهُ[١]، وفي حديث «**بئس خطيب القوم أنت**»[٢]. قال العلماء: إنما أنكر عليه لتشريكه في الضمير المقتضي للتسوية وأمره بالعطف تعظيما لله تعالىٰ بتقديم اسمه كما قال ﷺ في الحديث الآخر: «**لا يقل أحدكم ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان**»[٣]. وكذا الحديث الذي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقولن أحدكم: أطعم ربك، وضِّئْ ربك. وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي**»[٤]. فهذه الألفاظ المنهي عنها وإن كانت تطلق لغة، فالنبي ﷺ نهىٰ عنها تحقيقا للتوحيد، وسدا لذرائع الشرك؛ لما فيها من التشريك في اللفظ؛ فالنهي عنه حسما لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقا للتوحيد، وبعدا عن الشرك حتىٰ في اللفظ. وهذا من أحسن مقاصد الشريعة؛ لما فيه من تعظيم الرب تعالىٰ، وكذا قوله: « ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي »؛. ففي إطلاق هاتين الكلمتين علىٰ غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيما لله تعالىٰ وأدبا وبعدا عن الشرك وتحقيقا للتوحيد[٥].

ومن الألفاظ التي لا تليق في اليمين مثل ما ذكره القرافي في الذخيرة قال: فرع في الكتاب القائل إن فعلت كذا فهو يهودي أو نصراني أو بريء من الله ونحو ذلك ليس بيمين، وليستغفر الله تعالىٰ لأن ه التزم انتهاك حرمة الله تعالىٰ.[٦]

خفر ذمة الله ونقض العهود والكذب في الإيمان:

الذِّمّة بمعنىٰ العهد، وذمة الله يعني: عهد الله وعهد نبيه؛ فإنه إذا كان يعطي بعهد الله ثم يخفر، فقد خفر عهد الله -جلَّ وعلا-؛ لأن الواجب علىٰ العبد أن يعظم الله[٧]، وألا يخفر عهده وذمته؛ حتىٰ لا ينسب النقص لذمة الله [٨]. كما لا يجوز كثرة الإيمان؛ لأن في كل منهما

---

(١) فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٤/ ٦١٩).

(٢) أنَّ رجلًا خطب عند النَّبيِّ ﷺ، فقال: من يطع الله ورسوله، فقد رشد، ومن يعصهما، فقد غوىٰ، فقال رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله». صحيح مسلم (٨٧٠).

(٣) شرح النووي علىٰ مسلم (٦/ ١٥٩).

(٤) صحيح البخاري (٢٥٥٢).

(٥) فتح المجيد (٤٥٥).

(٦) الذخيرة (٤/ ١٥).

(٧) فتح الودود (٤/ ٦١٩).

(٨) فتح الودود (٤/ ٦١٩).

نقصًا في تعظيم الرَّبِّ[١]. وقد قال -جلَّ ذِكرُه-: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل]. فكثيرا ما يعطي الناس العهود المواثيق شفهيا أو كتابة أو يحلفون علىٰ الوفاء ثم يغدرون ويخونون، وهذا استهانة بقدر الله واستخفاف بعظمته التي قدموها بين أيديهم لمن عاهدوهم أو أقسموا لهم من أجل تصديقهم والثقة في عهودهم. فالوفاء صفة المعظمين لله، قال الله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد]. وفي (الحديث الصَّحيح): «**وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه، فلا تجعل لهم ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه، ولكن اجعل لهم ذمَّتك وذمَّة أصحابك؛ فإنَّكم إن تخفروا ذِمَمَكم وذمَّة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمَّة الله وذمَّة نبيِّه**»[٢]. أيضا كثرة الحلف والإيمان من عدم تعظيم الله؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]. قال الرَّاغب: فحقُّ المسلم أن يتحاشىٰ من الاستعانة باليمين في الحقِّ وأن يتحقَّق قدر المقسم به، ويعلم أنَّ الأغراض الدُّنيوية أخسّ من أن يفزع فيها إلىٰ الحلف بالله، فإنَّه إذا قال: والله، إنَّه لكذا= تقديره: إنَّ ذلك حقٌّ، كما أنّ وجود الله حقٌّ، وهذا الكلام يتحاشىٰ منه مَن في قلبه حبَّة خردل من تعظيم الله، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١][٣].

وكذا الحلف كاذبًا، ويقول القاضي عياض: وقوله: «**المنفق سلعته بالحلف الفاجر**»[٤]، وفي الرِّواية الأخرىٰ: «**الكاذب**»[٥]، وهو تفسير الفاجر، وقد جمعت الاستخفاف بحقِّ الله[٦].

ومن عدم تعظيم الله الحلف بغيره، يقول القرطبيُّ في قوله تعالىٰ: ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [المائدة: ٥٣]، هذا تعجيب من صنعهم. ووجه التعجيب أنهم يظهرون تعظيم الله فيقسمون به[٧]. فالحلف بالله تعظيم؛ وما أكثر ما يحلف الناس بغيره، بل قد يحلف الواحد منهم بالله كاذبا ولا يستطيع ان يحلف بغيره إلا صادقا لما في قلبه من التعظيم لغير الله،

(١) التمهيد شرح كتاب التوحيد (٥٦٩).
(٢) صحيح مسلم (١٧٣١).
(٣) فيض القدير (٣/ ٤١٧).
(٤) صحيح مسلم (١٠٧).
(٥) صحيح مسلم (١٠٦).
(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٣٨٣).
(٧) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٠٥).

يقول الشَّوكاني: «السِّرُّ في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده، فلا يحلف إلا بالله وذاته وصفاته»[١]. وقال القاضي عياض: وقوله: «**أفلح وأبيه**»[٢] وقد نهىٰ النَّبيُّ ﷺ عن الحلف بالآباء، لعله كان قبل النهي، أو يكون علىٰ غير اعتقاد نية الحلف والتعظيم لمن حلف به، علىٰ ما جرت به عادة العرب[٣]. وهذا قد يكون شركا أكبر، إن كان المتعمد للحلف بها قلبه مطمئن ب الإيمان فهو كاذب فيما حلف عليه، كاذب في تعظيم ما لا يعتقد تعظيمه، وإن كان قوله: «متعمدًا»: أي لتعظيمها واعتقاد اليمين بها لكونها حقًا فهو كافر، كما قال القاضي عياض[٤]. ويحرم الحلف بغير الله وصفاته ولو نبي لأنه شرك في تعظيم الله[٥].

ومن هذا الباب عدم التكفير عن اليمين عند الحنث؛ يقول نجم الدين الطوفي: «حكم الحنث في اليمين وجمعه بين تعظيم الله ورفع الحرج عن المكلفين: أن الحنث في اليمين استخفاف بحق الله، وتهوين بعظمته»[٦]. لأن في التزام التكفير بجزء من المال المحبوب طبعا، أو بالتعبد بإلحاق المشقة بالصوم للبدن تعظيما لله سبحانه ولا بدّ، وقد نص عليه القرآن، ولعل التعظيم بذلك أشد من التعظيم بالتزام ما حلف عليه، إذ قد يحلف أن لا يأكل هذه اللقمة فتركها عليه يسير غالبا، فإذا أكلها لمصلحة دينية وأعتق عوض ذلك رقبة أو أطعم أو كسىٰ عشرة مساكين أو صام ثلاثة أيام متتابعة كان ذلك لا شك أبلغ في تعظيم الله [٧] وتبارك اسمه[٨].

الذهاب إلى السحرة والعرافين والخوف من الجن والشياطين:

لاعتقاد أنهم يعلمون الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله، وهو مما اختص الله به ولم يطلع عليه أحدا إلا من ارتضىٰ من رسول، فالذهاب إلىٰ هؤلاء تكذيب لما في كتاب الله حيث يقول تعالىٰ:

---

(١) نيل الأوطار (٨/ ٢٦٢).
(٢) صحيح مسلم (١١).
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٢٤).
(٤) المصدر نفسه (١/ ٣٨٩).
(٥) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (٤/ ٣٣٣).
(٦) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٦٧٤).
(٧) فتح الودود (٤/ ٦١٩).
(٨) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٦٧٥-٦٧٦).

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل]، فعن عائشة قالت: من زعم أنه يخبر الناس بما يكون في غد، فقد أعظم علىٰ الله الفرية، والله يقول .. الآية[١].

فمن ذهب إليهم فقد عظم شأنهم من دون الله كما كان يفعل أهل الجاهلية، يقول ابن القيم: وأما كون الكهنة رسله، فلأن المشركين يهرعون إليهم، ويفزعون إليهم في أمورهم العظام، ويصدقونهم، ويتحاكمون إليهم ويرضون بحكمهم، كما يفعل أتباع الرسل بالرسل، فإنهم يعتقدون أنهم يعلمون الغيب، ويخبرون عن المغيبات التي لا يعرفها غيرهم، فهم عند المشركين بهم بمنزلة الرسل، فالكهنة رسل الشيطان حقيقة[٢].

أيضا هناك خوف من الجن كما حكىٰ الله عن أهل الجاهلية فقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦]، يقول ابن القيم: ومن وقاره أن لا تعدل به شيئا من خلقه لا في الخوف والرجاء[٣]. فمما انتشر عند الناس ما يسمىٰ الذبح للعتبة (المسكن الجديد) بنية التقرب لحراس المكان من الجن والشياطين خوفا من إذايتهم، وهذا منافي للتعظيم الناتج عن المعرفة بالله؛ يقول ابن مسعود: ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به[٤].

ترك الأوامر والنواهي والعبادات ووسمها بالتشدد والعنت:

تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- هو الخوف له والعمل بطاعته والبدار إلىٰ ما يقرب منه من الأعمال التي ترضيه[٥]. فالذي أمر (الله) به هو دين الإسلام ليس فيه شيء سوىٰ تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لأمره ونهيه، واتباع طاعته والأمر بعبادته والتبرؤ من كل معبود سواه[٦]؛ لأن الذي يؤمن بالله علىٰ الوجه الصحيح، لابد أن يقع في قلبه تعظيم الله علىٰ الإطلاق، ولابد أن يقع في قلبه محبة الله علىٰ الإطلاق، فإذا أحب الله حبا مطلقا لا يساوي أي حب، وإذا عظمه تعظيما مطلقا لا يساويه أي تعظيم، فانه بذلك يقوم بأوامر الله وينتهي عما نهي الله عنه[٧].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ٤٨٦).
(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢٥٣).
(٣) الفوائد (١٨٨).
(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢٨٣).
(٥) البيان والتحصيل للباجي (١٨/ ٤٠٧).
(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٣٥٣).
(٧) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (١/ ٤٣٤).

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠]، وفي الآية إشارة إلىٰ أن تعظيم حرمات الله هو تعظيم الله في ترك ما حرمه الله عليه وتعظيم ترك ما أمره الله به[١]. يقول ابن القيم: «قدم الإسلام لا تثبت إلا علىٰ درجة التسليم، وذلك يوجب تعظيم الرب تعالىٰ وأمره ونهيه فلا يتم الإيمان إلا بتعظيمه ولا يتم تعظيمه إلا بتعظيم أمره ونهيه، فعلىٰ قدر تعظيم العبد لله سبحانه يكون تعظيمه لأمره ونهيه وتعظيم الأمر دليل علىٰ تعظيم الآمر»[٢].

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾[الرعد]، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ابتغاء وجه ربهم أي: طلب تعظيم الله وتنزيهًا له أن يخالف في أمره أو يأتي أمرًا كره إتيانه فيعصيه به[٣].

وقال الواحدي في الآية نفسها: «﴿صَبَرُوا۟﴾ أي: علىٰ دينهم، وما أمروا به من الطاعة، ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ طلب تعظيم الله»[٤].

فإذا كان أداء العبادات من تعظيم الله فإن تركها دليل علىٰ خلو القلب من تعظيمه، يقول الرازي: أن العبادة عبارة عن تعظيم الله تعالىٰ وإظهار الخضوع له[٥].

ويظهر تعظيم الله في شدة المحافظة علىٰ امتثال أمره واجتناب نهيه، والمسارعة إلىٰ كل ما يرضيه[٦]. فترك الناس اليوم للصلاة والزكاة والصيام، وترك والحج مع سياحتهم في بلدان شتىٰ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتركهم بر الوالدين، وتربية أبنائهم علىٰ الإسلام وأخلاقه، وترك المرأة للباس الشرعي، وإتيان كل ما نهىٰ الله عنه من زنا وشرب خمر وربا وغناء وغيبة وشهادة زور وغير ذلك ليس إلا من باب عدم تعظيم الله في قلوب القوم ونفوسهم، يقول الزجاج في شأن الصلاة الركن الأعظم في شعائر الإسلام العملية: وإنما سميت الصلاة تسبيحًا لأن التسبيح تعظيم الله وتبرئته من السوءِ فالصَّلاة يوحَّد الله فيها ويحمد[٧].

---

(١) روح البيان (٦/ ٢٩).
(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٥٦١).
(٣) جامع البيان (١٦/ ٤٢١).
(٤) التفسير الوسيط (٣/ ١٤).
(٥) مفاتيح الغيب (٢/ ٣٢١).
(٦) أضواء البيان (٣/ ١٩٠).
(٧) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠٩).

ويقول الرازي: الصلاة فإن أصلها معقول، وهو تعظيم الله[١].

وحكمتها: تعظيم الله[٢]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر]، فقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلىٰ الذِّكر، وقوله: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إشارة إلىٰ العمل البدني، وقوله: ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ إشارة إلىٰ العمل المالي.

وفي الآية حكمة بالغة، وهي قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾ إشارة إلىٰ عمل القلب. وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ إشارة إلىٰ عمل اللسان، وقوله: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إشارة إلىٰ عمل الجوارح. ثم إن هذه الأشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله[٣]، ويقول الطاهر بن عاشور: فإن الصلاة أفعال وأقوال دالة علىٰ تعظيم الله والثناء عليه وذلك شكر لنعمته[٤].

ومنه قوله: سُبحة الضُّحىٰ، وسُمِّيت الصلاة سبحةً لما فيها من تعظيم الله وتنزيهه[٥]. ولا أنجح من الصلاة لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه[٦].

وفي شأن الحجِّ يقول الطبريُّ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران: ٩٦]: «يعني بذلك: مآبًا لنسك النَّاسكين وطواف الطَّائفين، تعظيمًا لله، وإجلالا له»[٧].

ويقول الطاهر بن عاشور: «والكعبة بيت بناه إبراهيم عليه السلام لعبادة الله وحده دون شريك فيأوي إليه من يدين بالتوحيد ويطوف به من يقصد تعظيم الله تعالىٰ»[٨].

ويقول القرافي: «والقسم الثاني من الأوامر: ما تكون صورة فعله ليست كافية في تحصيل مصلحته المقصودة منه كالصلوات والطهارات والصيام والنسك، فإن المقصود منها تعظيمه

---

(١) مفاتيح الغيب (٨/ ٣٠٥).
(٢) شرح أبي داود للعيني (٢/ ٢٢٩)، الذخيرة للقرافي (٣/ ٣٨٨).
(٣) السراج المنير (٣/ ٣٢٦)، واللباب في علوم الكتاب (١٦/ ١٣٦).
(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٧٤).
(٥) فتح الباري (١/ ١٢٩)، شرح أبي داود (٢/ ٣١٥)، عمدة القاري (٤/ ٣٩).
(٦) فتح الباري (١١/ ١٨٦).
(٧) تفسير الطبري (٦/ ٢٢).
(٨) التحرير والتنوير (١/ ٧٠٨).

تعالىٰ بفعلها والخضوع له في إتيانها وذلك، إنما يحصل إذا قصدت من أجله سبحانه وتعالىٰ، فإن التعظيم بالفعل بدون قصد المعظم محال»[١].

وكلما كان الإنسان أكثر تعظيما لله تعالىٰ كان أكمل في العبودية[٢].

ومن أسباب ترك العبادات والتكاليف النظر إليها أنها شاقة، وتكليف فوق الطاقة، وهذا تكذيب للقرآن واتهام للرحمن الرحيم القائل: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، رحمة منه وشفقة بعباده، فما يصدر عن بعض المسلمين من ترك التكاليف أو بعضها بدعوىٰ عدم ملائمتها للزمان، وأن فيها مشقة وحرجا وتشددا قول ظاهر في عدم تعظيم الله تعالىٰ، وطعن في رحمته وعدله ولطفه وحكمته. لأن دين الإسلام مبني علىٰ رفع الحرج والضيق، بناء علىٰ أن الغرض من تكليف الخلق تعظيم الله والانقياد له، لا لحوق المشقة لهم بذلك[٣].

وتعظيم الله واجب، ومن مقتضىٰ تعظيمه الاعتراف بإنزاله الكتب السماوية علىٰ أنبيائه، رحمة بعبادة، وإصلاحا لشأنهم[٤]. وهذا يؤول بهم إلىٰ التفريط والتساهل والتميع في التدين في مقابل تشدد وتنطع من فئة معاكسة، وكل ذلك داخل في باب عدم التعظيم لرب العالمين، قال تعالىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، فالتعظيم: معرفة العظمة، مع التذلل لها. وهو علىٰ ثلاث درجات. الأولىٰ: تعظيم الأمر والنهي، وهو أن لا يعارضا بترخص جاف. ولا يعرضها لتشدد غال. ولا يحملا علىٰ علة توهن الانقياد[٥].

أداء العبادات على غير الوجه المشروع:

من إخلاص لله وموافقة للسنة، والإتيان بالأركان والاطمئنان والخشوع فيها، وتحقيق المقصود منها، حيث يؤدي كثير من المسلمين العبادات جافة خالية من روحها لا أثر لمقاصدها، مما يدل علىٰ جفاء في أدائها وخلوها من الإخلاص وعدم تعظيم قدرها تعظيما

(١) الذخيرة (١/ ٢٤٥).
(٢) مفاتيح الغيب (٦/ ٤٢٥).
(٣) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٦٧٥).
(٤) التفسير المنير (٧/ ٢٩٣).
(٥) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٤).

لمشرعها والآمر بها، يقول ابن القيم: فإن الرجل قد يتعاطىٰ فعل الأمر لنظر الخلق، وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع علىٰ المناهي، فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي ولا تعظيم الآمر والناهي[١].

والمقصود بأدائها تعظيم الرَّبِّ [٢] القائل في محكم التنزيل: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٰ﴾ [طه: ١٤]، وقال جلَّ ذكره: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [الواقعة: ٧٤]، فإنه تعبدنا بعبادات محضة، كالصلاة والحجّ وغير ذلك، وكل ركن من أركانها فالمقصود به تعظيم الله تعالىٰ، حتىٰ تؤدي كل جارحة من الجوارح حظها من تعظيم الله تعالىٰ[٣]. والناس يتساهلون في ذلك ولا يعلمون أن من علامة التعظيم للأوامر رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص علىٰ تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها[٤]. ويقول ابن القيم أيضًا: وأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به ثم العزم الجازم علىٰ امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به رغم القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به علىٰ أكمل الوجوه[٥].

ترك بعض الشرائع بدعوى عدم معرفة الحكمة:

ظهر في المسلمين اليوم كما قديما من لا يقوم بأمر ولا يترك نهيا إلا إذا ظهرت له الحكمة في ذلك الأمر أو النهي. وهذا خلل في تعظيم الله وتعظيم شرعه، فالمعظمون لله لا يسألون عن الحكمة بقدر ما يبادرون إلىٰ الامتثال، كما وصفهم الله في كتابه بقوله: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١﴾ [النور]، يقول ابن القيم: وأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به ثم العزم الجازم علىٰ امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به رغم القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به علىٰ أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (١٠).
(٢) فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٤/ ٦١٩).
(٣) الإعلام بما في دين النصارىٰ من الفساد والأوهام (٤٤٢)
(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب (١٠)
(٥) الصواعق المرسلة (٤/ ١٥٦١-١٥٦٢).

مأمورا به بحيث لا يتوقف الإنسان علىٰ معرفة حكمته، فإن ظهرت له فعله وإلا عطله فهذا من عدم عظمته في صدره، بل يسلم لأمر الله وحكمته ممتثلا ما أمر به سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فالمعظم لأمر الله يجري الأوامر والنواهي علىٰ ما جاءت لا يعللها بعلل توهنها وتخدش في وجه[١].

وهذا المنهج يؤدي بأصحابها إلىٰ استعمال العقل مع نصوص القرآن وإيراد الشبه والخوض في المتشابهات مما يتنافىٰ مع التعظيم، وهو دليل علىٰ زيغ القلوب. فطريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلىٰ معرفته والإحاطة به تعظيما لله ورسوله، وتأدبا مع النصوص الشرعية.[٢]

ترك الاستثناء:

والمقصود به عدم قول (إن شاء الله) حين يعد الإنسان بفعل شيء مستقبلا. فالجزم بالفعل في المستقبل دون الاستثناء سوء أدب مع الله، ويتنافىٰ مع تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-؛ وكأن الأمر بيد المخلوق ومشيئته لا بيد الله ومشيئته، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف].

ويقول تعالىٰ: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [القلم]، قال الزَّجَّاج في تأويل الآية: قال لهم استثنوا في يمينكم، لأنَّهم أقسموا ليصرمنها مصبحين ولم يستثنوا. ومعنىٰ التسبيح ههنا الاستثناء، وهو أَنْ يَقول: إن شاء الله. فإذا قال قائل التسبيح أن يقول: سبحان الله، فالجَوابُ فِي ذلكَ أن كل ما عظمت الله به فهو تسبيح، لأن التسبيح في اللغة فيما جاء عن النبي ﷺ تنزيه الله عن السوء. فالاستثناء تعظيم الله والإقرار بأنه لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَفعل فِعْلًا إلا بمشيئتِهِ -عزَّ وجلَّ-[٣]. ومن المؤسف المقرف ان الاستثناء اليوم لا يصدر من بعص المسلمين إلا إذا كانوا يبيتون النية علىٰ إخلاف الوعد أو خيانة الامانة، حينها يقولون: «إن شاء الله»، أما ان كانوا عازمين علىٰ الفعل فيجردون قولهم من الاستثناء.

---

(١) المصدر نفسه (٤/ ١٥٦١-١٥٦٢).

(٢) تعليق مختصر علىٰ لمعة الاعتقاد للعثيمين (٣٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٠٩).

الطعن في النبي ﷺ أو الشتم فيه:

فإن تعظيم الرسول ﷺ وإجلاله ومحبته وطاعته تابع لتعظيم مرسله سبحانه، فمحال أن تثبت المحبة والطاعة والتعظيم والإجلال للرسول ﷺ دون مرسله، بل إنما يثبت ذلك له تبعا لمحبة الله وتعظيمه وإجلاله ولهذا كانت طاعة الرسول طاعة لله، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله ومبايعته لله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح: ١٠][(١)].

فإنّ الله قد أمر بتعظيم الرسل، بأن يطاعوا فلا يعصوا، ويحبوا، ويتبعوا، وأن طاعة الرسول هي طاعة الله -عزَّ وجلَّ- ومعصيته معصية الله -عزَّ وجلَّ-، فهذا تعظيم لا يتم الإيمان بالله إلا به إذ هو عين تعظيم الله تعالىٰ، فإنهم إنما عظموا لأجل عظمة المرسل سبحانه وتعالىٰ وأحبوا لأجله واتبعوا علىٰ شرعه، فعاد ذلك إلىٰ تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-، فلو أن أحدا عظم رسولا من الرسل بما لم يأذن الله به ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله -عزَّ وجلَّ- وغلا فيه حتىٰ اعتقد فيه شيئا من الإلهية لأن عكس الأمر، وصار عين التنقص والاستهانة بالله وبرسله، كفعل اليهود والنصارىٰ الذين ذكر الله -عزَّ وجلَّ- عنهم من غلوهم في الأنبياء والصالحين كعيسىٰ وعزير، فصار ذلك التعظيم في اعتقادهم هو عين التنقص والشتم، سبحان الله عما يصفون[(٢)].

أيضا فان كل مظاهر الغلو في رسول الله ﷺ من باب عدم التعظيم لرب العالمين، وعدم امتثال لرسول رب العلمين، فعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تطروني، كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله**»[(٣)].

ومن جهة أخرىٰ فكم من المحسوبين علىٰ الإسلام يطعنون في شرف رسول الله وفي نسائه وزواجه من أكثر من امرأة. والبعض يتهمه بالعنف والتطرف ونشر الكراهية، وغير ذلك من التهم، حشاه عليه ﷺ.

الجرأة على الله ومبارزته بالمعاصي وعدم التورع من المحرمات:

وجعل الله أهون الناظرين، واستهانة بحلمه وواسع رحمته، فتعظيم الله وتوقيره يحجز عن المعصية، فكثير من المسلمين اليوم لا يبالي بأوامر الله ونواهيه حتىٰ من يظن فيه التدين

(١) جلاء الأفهام (٣٩٥).
(٢) معارج القبول (٢/ ٥١٤).
(٣) صحيح البخاري (٣٤٤٥).

والاستقامة، فما طابت له نفسه فعله وان كان محرما. يقول ابن القيم: والذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهىٰ، وهو ناشيء عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالىٰ ذم من لا يعظم أمره ونهيه[١]. ويقول ابن منده: والعباد يتفاضلون في الإيمان علىٰ قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له، والمراقبة لله في السر، والعلانية، وترك اعتقاد المعاصي[٢].

فالمانع من العصيان هو التعظيم. لا يعصي الله -عزَّ وجلَّ- لا سرًا ولا علنًا؛ لأن الذي يعصي الله لم يتأدب مع الله -عزَّ وجلَّ-، فالأدب مع الله: هو عبارة عن القيام بطاعته وتعظيمه[٣]، كما ورد في قصة سيدنا يوسف عليه السلام حين هم بما هم به؛ قال ابن الأنباري: والذي نذهب إليه في هذه الآية ما يروىٰ عن الصحابة والتابعين من إثبات الهم ليوسف غير عائبين له، بل نقول: إن انصرافه بعد إثبات الهم ونهيه نفسه عن هواها تعظيما لله ومعرفة بحقه أدل علىٰ وفور الثواب وتكامل الأجر[٤]؛ لأنه لو لم يكن معظما كان علىٰ المعصية مجترئا، وخاصة قد توافرت كل الدواعي. يقول ابن القيم: والمتجرئون علىٰ معاصيه ما قدروا الله حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه ويكبره، ويرجو وقاره ويجله، من يهون عليه أمره ونهيه؟ هذا من أمحل المحال، وأبين الباطل، وكفىٰ بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله [٥]، وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه[٦].

ويقول في (مدارج السالكين): أن الباعث علىٰ الورع عن المحارم والشبه إما حذر حلول الوعيد، وإما تعظيم الرب [٧]، وإجلالا له أن يتعرض لما نهىٰ عنه. فالورع عن المعصية: إما تخوف، أو تعظيم[٨]. ويدخل في هذا مخالطة المجاهرين بالمعاصي دون شعور بالحرج، يقول ابن القيم: ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو إليها ويتهاون بها ولا يبالي ما ركب منها، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالىٰ وحرماته[٩].

---

(١) الوابل الصيب (٨).
(٢) الإيمان لابن منده (١/ ٣٠٠).
(٣) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام لابن عثيمين (٦/ ٢٣٧).
(٤) التفسير الوسيط (٢/ ٦٠٨).
(٥) فتح الودود (٤/ ٦١٩).
(٦) الجواب الكافي (٦٩).
(٧) فتح الودود (٤/ ٦١٩).
(٨) مدارج السالكين (٢/ ٢٥).
(٩) الوابل الصيب (١٣).

ومن الجرأة وعدم تعظيم الله الادمان علىٰ الذنوب دون توبة؛ التي هي ترك اختيار ذنب سبق عنك مثله؛ تعظيما لله تعالىٰ[١].

انتهاك الحرمات وإهانة ما عظم الله:

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]، قال ابن القيم في الحرمات: هي جمع حرمة وهي ما يجب احترامه، وحفظه من الحقوق، والأشخاص، والأزمنة، والأماكن، فتعظيمها توفيتها حقها، وحفظها من الإضاعة[٢].

فتعظيم شعائر الله صادر عن تقوىٰ القلوب، فالمعظم لها يبرهن علىٰ تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله[٣].

قال قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، فإنَّ الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء. إن الله اصطفىٰ صفايا من خلقه، اصطفىٰ من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفىٰ من الكلام ذكره، واصطفىٰ من الأرض المساجد، واصطفىٰ من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفىٰ من الأيام يوم الجمعة، واصطفىٰ من الليالي ليلة القدر، فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل[٤].

فإن عظمة الله تعالىٰ وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب[٥]. يقول ابن حجر: ان انتهاك حرمة الحرم بالمعصية تستلزم انتهاك حرمة الله؛ لأن تعظيم الحرم من تعظيم الله فصارت المعصية في الحرم أشد من المعصية في غيره، وإن اشترك الجميع في ترك تعظيم الله تعالىٰ[٦].

---

(١) منتهىٰ السول (٣/ ٢٢٣).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٧٣).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٥٣٨).
(٤) جامع البيان (١٤/ ٢٣٩).
(٥) الجواب الكافي (٦٩)
(٦) فتح الباري (١١/ ٣٢٨).

وقد لا ينتهك المسلم الحرمات، لكن لا يتأثر بانتهاكها من غيره ولا يبالي ولا يهتم، فهذا من عدم تعظيم الله أيضا كما يقول ابن القيم[١].

وتعظيم بيت الله تعالىٰ تعظيم له[٢]. وكم انتهك المسلمون ما عظم الله من المساجد حتىٰ رقصوا فيها، وجعلوها فضاءات للحديث في امور الدنيا واللغو الرفث، والله تعالىٰ يقول: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور]، بل أهانوا البيت الحرام بتدخين السَّجائر ولعب الورق وكلام الرَّفث، إضافة إلىٰ النشل والسرقة فيه. وأهانوا شهر الله المعظَّم شهر رمضان، فجعلوه للهو والعبث والغناء والأفلام والمسلسلات. وأهانوا الصَّحابة بالسَّبِّ والثَّلب والتنقيص والاستهزاء واللعن، كما يفعل الرَّوافض، والله قد أثنىٰ عليهم، ورضي عنهم، ورفع شأنهم. وأهانوا حقَّ النَّفس بالقتل، والرَّحم بالقطيعة، وحقّ الجوار بالإذاية، وحرمة الأعراض فجعلوها فواكه المجالس بالغيبة والبهتان، وأراقوا الدِّماء رغم شدَّة حرمتها أشدّ من حرمة مكة، وخانوا الأمانة، وطفَّفوا الميزان، وقد عظَّم الله شأنهما.

التشاؤم واليأس وعدم حسن الظن بالله:

العبد مأمور بأن يحسن الظن بالرَّبِّ -جلَّ وعلا- ولهذا كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يتفاءل، وكل ذلك من تعظيم الله - جل وعلا- وحسن الظن به وتعلق القلب به، وأنه لا يفعل للعبد إلا ما هو أصلح له. ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: «ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «**أحسنها الفأل**»[٣]. الطيرة: يعني التأثر بالكلمة.[٤] ويقول الحليمي: إن الشؤم سوء الظن بالله -عزَّ وجلَّ- من غير سبب ظاهر يرجع الظن إليه، ويبني في الحقيقة عليه. والتيمن بالفأل الحسن حسن الظن بالله تعالىٰ[٥].

فحس الظن بالله من علامات التعظيم ومن شيم المعظمين لله؛ قال تعالىٰ: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا

---

(١) الوابل الصيب (١٣).
(٢) الذخيرة للقرافي (٣/ ٢٤٠).
(٣) مسند البزار (٤٣٧٩).
(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٦٠).
(٥) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ٢٥).

فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يوسف]، قالها وهو علىٰ حُسن ظنِّه بربِّه، مع الذي هو فيه من الحزن[1].

ترك التحاكم إلى شرع الله:

لنظرتهم إليه أنه تجاوزه الزمن، وأنه لم يعد صالحا لهذا الزمان الذي عرف تطورا رهيبا أنتجته عقول باهرة لم تعد في حاجة إلىٰ نصوص مر عليها خمسة عشر قرنا لتنظم حياتهم وتقرر في طبيعة أفعالهم وسلوكاتهم، فهذه العقول قادرة علىٰ أن تضع أفضل النظم وأعدل التشريعات التي تعطي لكل ذي حق حقه بشكل أكثر إنسانية، وقد كان من شأن المنافقين الذين لا يعظمون الله ولا رسوله ولا شرعه أن يتنكبوا التحاكم إلىٰ شرع الله لما في قلوبهم من المرض، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [النور]، فالمرض هذا راجع إلىٰ خلو القلب من تعظيم الله وإجلاله وتعظيم شرعه والإقرار بعدله ورحمته في حكمه. ويقول جل شأنه: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة]، فمن لم يقبل بحكم الله وأخذ بحكم الجاهلية التي لا تعظم الله، ومن قبل بحكم الله كان من الموقنين الذين يعظمون الله -عزَّ وجلَّ-.

التجرأ على التحليل والتحريم بهوى وبلا علم:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦]، وقال جلّ ذكره: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، يستفاد منها: وجوب تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-؛ لأنّه تعالىٰ حرَّم القول عليه بلا علم تعظيمًا له، وتأدُّبًا معه؛ وقد قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحُجُرات: ١][2]. فالأدب مع الله تعظيم الله عزَّ وجلَّ، وألا يتقدم الإنسان بين يديه في تحليل حرام أو تحريم حلال أو إيجاب ما لم يوجبه[3]. فقد استحل الناس الربا والزنا والخمر والغناء والمعازف والتبرج والاختلاط، كما ورد عن النبي ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ»[4].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٠).

(٢) تفسير العثيمين (٢/ ٢٤١).

(٣) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٦/ ٢٣٧).

(٤) صحيح البخاري (٥٥٩٠).

وصار المنكِر لهذه الأمور هو المخطئ، فلكثرة ما تلبس الناس بها دون شعورهم بأدنىٰ حرج أصبح الخوف يتملك من يريد الحديث عن حرمتها، ولا يقبلون من أي أن يذكرهم بحرمتها. فيحلون الخمر بدعوىٰ أن الله قال (فاجتنبوه) ولم يقل حرام، وأحلوا الربا بدعوىٰ أن الله قال: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، ويقصدون إنها حلالا إن لم تضاعف كثيرا وإن كانت قليلة فهي حلال. هذه أمثلة وإلا فقد جعلوا لكل حرام مخرجا بشبهة أو تأويل متعسف.

الاستهزاء ببعض الشرائع والسنن:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥]، فإنَّ الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين، لأن أصل الدين مبني علىٰ تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة(١).

وسبب نزول الآية ما رواه عبد الله بن عمر قال: قال رجلٌ في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنَّك منافقٌ! لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النَّبيِّ ﷺ، ونزل القرآن(٢). وإنَّ ممَّا نشهده اليوم من المسلمين الاستهزاء بالسُّنن والشَّرائع؛ كاللحية والحجاب والنِّقاب والصَّلاة، ولمز الملتزمين واختلاق النَّكث المضحكة حول العبادات والجنَّة والنَّار والملائكة، وغير ذلك.

الطعن في العلماء وانتقاصهم:

قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فمن عظَّمه الله ورفع قدره لا يليق التَّنقيص منه تعظيمًا لله الذي عظَّمه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من تعظيم الله إكرام ذي الشَّيبة في الإسلام، وإكرام الإمام العادل، وإكرام حامل القرآن غير الغالي فيه**»(٣). قال طاوس: من السُّنَّة أن توقِّر أربعة: العالم، وذا الشيبة، والسُّلطان، والوالد(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٤٢).
(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٣٣٣).
(٣) سنن أبي داود (٤٨٤٣)، والأدب المفرد (٣٥٧).
(٤) الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣١٨٦).

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لَيسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ»[١]. قال أبو حيَّان: وقبلة العالم إجلال الله تعالىٰ.[٢] ويقول أبو الحسن الشَّاذلي: ومن إجلال الله -عزَّ وجلَّ- إجلال العالم العامل. قال العدوي في (حاشيته علىٰ الكتاب): أي: أنّ تعظيم العالم العامل تعظيم لله -عزَّ وجلَّ-، أي: فمن عظَّم العالم العامل؛ فقد عظَّم الله، أي: ومن حقَّر العالم العامل؛ فقد حقَّر الله[٣].

فلمكانتهم عنده قرن شهادتهم بشهادته علىٰ أعظم مشهود عليه، وهو وحدانيته حين قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران]، ويقول أبو عبد الرَّحمن السُّلميُّ: والصحبة مع العلماء بملازمة حرماتهم، وقبول قولهم، والرجوع إليهم في المهمات والنوازل، وتعظيم ما عظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفا لنبيه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم وورثته[٤].

فكيف نجد اليوم من يتهكم من العلماء، ويتهمهم بالغباء وعدم مواكبة العصر، وأنهم تجار دين، ويريدون أن يعودوا بالأمة إلىٰ عصور التخلف. ومهم من يتهمهم بالعمالة والانبطاح ونصرة الباطل، فالطاعنون في العلماء والمحتقرون لهم والذين يطالبون بتغييبهم عن قضايا الأمة إنما يرومون انتشار الجهل بدين الله، وإبطال شريعته، قال أيوب السختياني: إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون[٥].

امتهان القرآن والعبث به:

روىٰ مالك في (موطئه): أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهىٰ أن يسافر بالقرآن إلىٰ أرض العدو. وقال مالك: أراه خوف أن ينالهم العدو[٦]. وقال ابن حبيب: لما يخشىٰ من استهزائهم وتصغيرهم ما عظم الله سبحانه منهم[٧]. فقد كان يخشىٰ علىٰ القرآن من إهانة المشركين وهم أهل لذلك ما داموا

---

(١) مسند الشَّاشي (١٢٧٣)، وصحيح الجامع الصغير (٢/ ٩٥٧).
(٢) البحر المحيط (٣/ ٧٣٤).
(٣) حاشية العدوي علىٰ كفاية الطالب الرباني (٢/ ٥١٧).
(٤) آداب الصحبة (١٢٠).
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٦٨).
(٦) موطأ مالك (١٦٢٣).
(٧) التاج والإكليل لمختصر خليل (٤/ ٥٤٦).

لا يعظِّمون الله بالتوحيد، لكن اليوم نرىٰ الإهانة من المسلمين المنتسبين إلىٰ التوحيد للأسف. فإنه تعالىٰ عظم حال القرآن بأن نسبه إلىٰ أنه تنزيل ممن خلق الأرض وخلق السموات علىٰ علوها، وإنما قال ذلك لأن تعظيم الله تعالىٰ يظهر بتعظيم خلقه ونعمه، وإنما عظم القرآن ترغيبا في تدبره والتأمل في معانيه وحقائقه، وذلك معتاد في الشاهد؛ فإنه تعظم الرسالة بتعظيم حال المرسل ليكون المرسل إليه أقرب إلىٰ الامتثال[١].

ووصف الله القرآن بالعظيم، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحِجر]، فدلَّ علىٰ أنَّ تعظيم كلام الله من تعظيم الله، يقول ابن القيم: فإن من شأن الناس تعظيم كلام من يعظم قدره في نفوسهم وأن يتلقوه بالقبول والميل إليه[٢]. وها هو الحقُّ -تباركت أسماؤه، وجل شأنه- يصف هذا الكتاب بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة]، ومن الواجب علىٰ كل مسلم دارس أو غيره أن يعظم ما عظم الله، فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأىٰ مصحفا صغيرا في يد رجل، فقال: من كتبه؟ فقال الرجل أنا، فضربه بالدرة، وقال: عظِّموا القرآن[٣]. فترىٰ المسلمين اليوم يعرضون عن كلام الله ويهجرونه بكل أنواع الهجر، وإن قرأوه لا يتلونه حق تلاوته، ولكن بطرق مخالفة للطريقة الصحيحة في قراءته، وبكيفيات مقرفة مقززة بالغة الإهانة، أو قراءته بالألحان الموسيقية والغنائية، أو لا يبالون بالإنصات له عند تلاوته؛ فربما ترىٰ بعضهم منشغلا بهاتفه، أو بالحديث مع من بجواره أو سادرا في تفكيره، وهو الذي قال الله فيه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر]، يقول الطَّبَريُّ: متذلِّلًا متصدِّعًا من خشية الله علىٰ قساوته، حذرًا من أن لا يؤدِّي حقَّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل علىٰ ابن آدم وهو بحقِّه مستخف، وعنه عمَّا فيه من العبر والذكر معرض، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرًا[٤]، أو يقصرِّون قراءته علىٰ الأموات والله يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس]، ويا للعجب

(١) مفاتيح الغيب (٢٢/ ٧).
(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٤١).
(٣) ذكره القرطبي في (تفسيره: ١/ ٢٩).
(٤) جامع البيان (٢٣/ ٣٠٠.-٣٠١).

ان خصصوا هذه السورة لقراءتها علىٰ الأموات. كما يجعلون من القرآن وسيلة لمكاسب دنيوية، قال القسطلاني في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩]: ومن كمال التعظيم أن يكون ذكر الله تعالىٰ أجل وأعظم وأعلىٰ عنده من أن يستشهد به في غرض من الأغراض الدنيوية[١]. أو يجعلون منه لوحات في الصالات وقاعات الانتظار للزينة أو قلائد للتزين، أو حروزا لرد العين وأذىٰ الشياطين. ناهيكم عما يفعله السحرة والمشعوذون من امتهان للقرآن نطقا وكتابة أخزاهم الله.

وبعض الآباء تجده يستحي إذا أخذ ابنه إلىٰ الكُتاب بعد أن فشل في الدراسة النظامية، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه، إلا أنه لا يوحىٰ إليه، ومن قرأ القرآن فرأىٰ أن أحدا من خلق الله أعطي أفضل مما أعطي، فقد حقر ما عظم الله، وعظم ما حقر الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يجهل فيمن يجهل، ولا يحد فيمن يحد، ولكن يعفو ويصفح»[٢].

كثرة التشكي والتضجر من أقدار الله:

كمرض وخاصة إن تأخر برؤه، أو فقر أو عاهة خلقية أو مشاكل عائلية أو مهنية، أو تأخر زواج أو تعسر أمور، فترىٰ الناس يبادرون بالشكوىٰ وإظهار التضجر والسخط علىٰ ما قدر الله وقضىٰ. وهذا مخالف لما يقتضيه تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- إقرارا بحكمته وعدله ورحمته. فهذا نبي الله يعقوب في محنته مع ابنه يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف: ٨٦]، وأيوب عليه السلام مع طول المحنة والابتلاء يقول الله عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣]، يقول ابن القيم: جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلىٰ ربه ووجود طعم المحبة في المتملق له والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين والتوسل إليه بصفاته سبحانه وشدة حاجته وهو فقره[٣]. وهذه المواصفات لا تون الا في معظم لله، والانبياء أشد بلاء وأشد تعظيمًا لله.

---

(١) إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاريّ (٩/ ٣٩٢).
(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٢٧٥).
(٣) الفوائد (٢٠١).

فمن تعظيم الله عدم التضجر من أقدراه، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا رأيت الله -عزَّ وجلَّ- قد اختار لك أو لغيرك شيئا -إما بأمره ودينه، وإما بقضائه وقدره- فلا تنازع اختياره، بل ارض باختيار ما اختاره لك، فإن ذلك من تعظيمه سبحانه[١]. فمن يتضجر أو يشكوا إلىٰ المخلوق أقدار الله فقد أساء الأدب مع الله وتسخط من قدره وقضائه.

ومن مظاهر التضجر من أقدار الله الحسد، فإن الحسد الذي سرىٰ وانتشر في الأمة ليس إلا احتجاجا علىٰ قدر الله وقضائه، وطعن في عدله وعطائه، وحقد علىٰ خلقه. قال تعالىٰ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء]، قال عبد الله ابن مسعود: لا تعادوا نعم الله. قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله[٢].

ترك شكر الله والاعتراف بنعمه:

فإن شكر الله هو محرك العبادة والعبادة هي عين التعظيم لله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وعدم شكر المنعم لؤم وانكار للجميل. والناس اليوم نجدهم يردون النعم إلىٰ حنكتهم وذكائهم وجهدهم، أو أنها منحة من الغير تفضلوا بها عليهم. ولا يرون لله عليهم فضلا في تحصيل مال أو عافية أو قوة أو جاه أو طعام أو اكتساب معيشة، والله يقول: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل]، فإنَّ تسخير الأنعام من إبل وبقر وغنم للإنسان وتمكنه من الانتفاع بها من أعظم النعم علىٰ البشر، لذا يطلب تعظيم الله حين ذبحها والتسمية عليها، والأكل منها، سواء الذابح والمسكين والمحتاج[٣].

فهذا المعنىٰ قل من ينتبه له أو يستشعره، وقد يحمل علىٰ ذلك التكبر والاستعلاء، لا يجد هذا المتكبر في نفسه معنىٰ عظمة الله وكبريائه; لأن ه لو وجدها لتأدب وشعر بضعفه وعجزه وصغاره[٤]. فأقرَّ بنعم الله عليه فشكرها قولا وفعلا. وربما احتقر ما عنده من نعم وتطلع إلىٰ ما هو أعلىٰ، وقد قال ﷺ: «**انظروا إلىٰ من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلىٰ من هو فوقكم فهو أجدر إلا تزدروا نعمة الله عليكم**»[٥].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٧٠).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٥١).
(٣) التفسير الوسيط (٢/ ١٦٤٧).
(٤) تفسير المنار (٥/ ٧٨).
(٥) صحيح مسلم (٢٩٦٣).

فإنَّ المرء إذا نظر إلىٰ من فضل عليه في الدنيا استصغر ما عنده من نعم الله فكان سببا لمقته، وإذا نظر للدون شكر النعمة وتواضع وحمد فينبغي للعبد أن لا ينظر إلىٰ تجمل أهل الدنيا فإنه يحرك داعية الرغبة فيها ومصداقه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١][(١)].

معرفة الله في الشدة دون الرخاء:

كثير من الناس لا يعرف الله إلَّا في الشَّدَّة، وإذا سُدَّت في وجهه الأبواب، وعجز الخلق عن نفعه. وهذا لؤم في حقِّ الله وعدم تعظيم لقدره، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الروم]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النحل].

فإنَّ معرفة الله في الشِّدَّة والرَّخاء دليل علىٰ التَّعظيم، ولا يفعله إلَّا أهل التَّقوىٰ والصَّلاح، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان]، وعلم من صيغة المبالغة في كل منهما أنه لا يعرف في الرخاء من عظمة الله ما كان يعرفه في الشدة إلا من طبعهم الله علىٰ ذلك ووفقهم له وأعانهم عليه بحفظ العهد وترك النقض جريا مع ما تدعو إليه الفطرة الأولىٰ السليمة، وقليل ما هم[(٢)].

تقديم رضى الناس على رضى الله:

من زوجة وأبناء وأصدقاء وأقارب ومسؤولين، فكم من المسلمين اليوم يتقحمون المعاصي ويرتكبون مخالفات شرعية رغم إقرارهم بحرمتها أحيانا وأنها لا تجوز، لكن إرضاء لأن سان يفعل ذلك، حتىٰ لا يقلق أو يسخط، ولا يهمه غضب الله وسخطه. مما يدل علىٰ خلل عندهم في تعظيم الله. فليس من المروءة في شيء أن يقدم رضىٰ الخلق علىٰ رضىٰ الخالق، والخوف من غضب المخلوق دون غضب الخالق. ومن يفعل ذلك فإن محبة أهله

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٣٨١).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٥/ ٢٠٦).

وزوجه وأصدقائه فوق محبة الله، إذ المحبة هي الطاعة. وقد توعَّد الله من علىٰ هذه الشاكلة فقال: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤]، لأن المؤمن المعظم لله لا يتوقع منه هذا الفعل كما قال تعالىٰ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ترك التعبير في مخلوقات الله مقابل الانبهار بالتكنولوجيا

قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران]، قال الرَّازيُّ: أنه تعالىٰ ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم الله تعالىٰ[1]. وهو هذه الآيات الكونية التي تضمنتها الآية. وفي قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر].

ففي الآيات ذكر لمخلوقات الله الدالة علىٰ عظمته، وأخبر ان العلماء الذين يقدرون الله حق قدره إذا نظروا إلىٰ عظمة هذه المخلوقات رأوا فيها العظمة الإلهية التي أورثت قلوبهم خشية ورهبة من الله. لكن المسلمين اليوم يستهينون بعظمة الله في خلقه ولا يلقون لها بالًا، ولا يرون فيها عظمة ولا جلالا، لخلو قلوبهم من التعظيم، يقول ابن القيم: حياة القلب بحسن النظر، الدائر بين تعظيم الخالق[2]، وحسن الاعتبار بمصنوعاته الدالة عليه[3]، في مقابل إظهار منتهىٰ الانبهار والإجلال اتجاه ما يصنعه البشر وما يخترعونه وما يبدعون فيه، مع أن عبقرية

(١) مفاتيح الغيب (٨/ ١٩١).
(٢) فتح الودود (٤/ ٦١٩).
(٣) مدارج السالكين (٣/ ٣٣٣).

هؤلاء البشر إنما الله هو من وأودعها فيهم. فما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه. فالناس اليوم منبهرين بالتكنولوجيا إلىٰ درجة تأليه العقل وجعله فوق منزلة الخالق، وكلما كلمت أحدا عن الاسلام والمسلمين إلا وشرع في تعداد عبقرية الإنسان الغربي والصيني والياباني، وهلم جرًّا.

المحور الثاني: من أسباب عدم تعظيم الله

عقوق الوالدين:

قال تعالىٰ في شأن يحيىٰ عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤]، أي: بارًّا لطيفًا بهما محسنًا إليهما، لأنه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالىٰ أعظم من برّ الوالدين، يدلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣][1]، ولكون الأبوين سببًا في وجود الولد عظَّم الله تعالىٰ حقهما، وألزم بعد شكره شكرهما، فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤][2]. ولا يخفىٰ كم هو حجم العقوق الذي يمارسه كثير من المسلمين اتجاه آبائهم من سب وإهانة ورمي في دور العجزة، إلىٰ درجة الضَّرب والجرح والقتل. غير عابئين بأمر الله ووصيته بالوالدين، متجاوزين الحد الذي جعله الله عقوقًا وهو « الأف» في قوله تعالىٰ: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وهذا لا يحصل إلا من ممن خلا قلبه من التعظيم.

هذه جملة ما تيسر إيراده من مظاهر عدم تعظيم الله، وفي ذلك جزئيات كثيرة هي داخلة بالتبع في كثير مما عرض أعلاه فلم يكن داع لإفرادها وسردها، فالعبرة بما ذكر، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن مظاهر عدم تعظيم الله التي طبعت المجتمعات المسلمة ما كان لها ان تذيع وتنتشر كما وكيفا لولا وجود أسباب كان لزاما كشفها ودراستها، حتىٰ يسهل البحث عن حلول لها، وقد كان مما ظهر وانكشف من هذه الأسباب ما يلي:

الجهل:

أصل الشُّرور والآثام الجهل بالله وبشرع الله وبكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وذلك الذي جعل كثيرا من المسلمين لا يبالون بتعظيم الله، ولا يقدرونه حق قدره، كما قال الله في كتابه الكريم: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٤]، فمن عرف الله عظمه، وعظم شرعه وعظم كتابه وعظم نبيه وأولياءه الصالحين، وخاف ربه وأطاعه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وهذه الآية هي خاتمة آيات تعرض

---

(١) السراج المنير (٢/ ٤١٦).

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (٢٤).

لمظاهر عظمة الله في الخلق. فهكذا يكون العلماء الذين عرفوا الله من خلال النظر في كتابه المنظور وكتابه المسطور، فحصل لهم العلم وزال عنهم الجهل بالله، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: ٢٣]، فمن هنا يتضح خطر هذا السبب، وأنه من أهم الاسباب التي تؤدي إلىٰ عدم تعظيم الله. يقول ابن القيم: منزلة التعظيم: وهذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالىٰ في القلب. وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيما وإجلالا[١]. ولما طلب قوم موسىٰ من موسىٰ عليه السلام أن يجعل لهم إلها قال لهم: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، أي: إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١﴾ [النمل]، يقول الطبري: وقوله: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله، وما عليهم من الضر في إشراكهم في عبادة الله غيره[٣].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣﴾ [الحشر]، أنّهم قوم لا يفقهون، قدر عظمة الله، فهم لذلك يستخفون بمعاصيه، ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم[٤].

وإن كان تقدير الله حقّ قدره ممّا يصعب بلوغ كنهه وكماله، يقول الماتريدي: ما عظموه حق عظمته ما يحتمل وسع الخلق، وكذلك لم يعرفوه حق معرفته التي يحتمله وسع البشر بينهم، فأما معرفة الله حق معرفته أو تعظيم الله حق عظمته ما لا يحتمله وسع الخلق[٥]. فالتقصير في تعظيم العلم الذي هو من التقصير في تعظيم الله[٦].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٣).
(٢) جامع البيان (١٣/ ٨٠).
(٣) المصدر نفسه (١٩/ ٤٨٤).
(٤) المصدر نفسه (٢٣/ ٢٩١).
(٥) تفسير الماتريدي (٨/ ٧٠٤).
(٦) تفسير آيات من القرآن الكريم (٣٦٦).

حب الدنيا واستحكام الهوى:

فمن وقع في قلبه حبُّ الدُّنيا خرج منه حبُّ الآخرة، وهذه متلازمة لا شكَّ فيها، وهذا ما حكاه القرآن الكريم عن أهل الدنيا، قال سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة]، يقول ابن القيم: إنما كان حب الدنيا رأس الخطايا ومفسدا للدين من وجوه؛ أحدها أن حبها يقتضىٰ تعظيمها وهىٰ حقيرة عند الله، ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقر الله(١).

وعن جابر بن عبد الله: أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بالسوق داخلا من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**»، فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**»، قالوا: والله لو كان حيا، كان عيبا فيه، لأنَّه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «**فو الله للدنيا أهون علىٰ الله، من هذا عليكم**»(٢).

فالتعلق بالدنيا ينسي العبد ربه، ولا يستجيب لأمره ونهيه، قال تعالىٰ معاتبا أصحاب النبي في غزوة تبوك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة]، وكما في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [يونس]، فالغفلة عن لقاء الله وعن آيات الله بسبب التعلق بالدنيا لا يدل إلا علىٰ خلو القلب من تعظيم الله وإجلاله. والتعلق بالأوهام وما لا قيمة له، وما الدنيا إلا متاع الغرور.

يقول ابن القيم: كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلا بد أن يقول علىٰ الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره وإلزامه لأن أحكام الرب سبحانه كثيرا ما تأتي علىٰ خلاف أغراض الناس(٣). وهذا من صور عدم تعظيم الله، فإذا كان هذا في شأن العلماء فما بال العوام؟

وإن حب الدنيا متعلق بغلبة الهوىٰ وسلطانه علىٰ القلوب، قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣]، فمن اتخذ الهوىٰ إلها حل ذلك محل العبودية لله التي هي عين

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٢٢١).
(٢) صحيح مسلم (٢٩٥٧).
(٣) الفوائد (١٠٠).

التعظيم والإجلال لله. فعابد الهوىٰ لا يميل قلبه إلىٰ شيء إلا اعتقده ولا مالت نفسه إلىٰ شيء إلا فعله، ولا يهوىٰ شيئا إلا ركبه، كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

وقد مر الحديث علىٰ أن مقتضىٰ التعظيم تعظيم الامر والنهي وفعل الطاعة وترك المعصية، ولما كان اتباع الهوىٰ خلاف ذلك كان سببا في ترك تعظيم الله. قال الحكيم الترمذي وهو يتحدث عن أحوال الأتقياء الصالحين: ثم إن لله عبادا راضوا أنفسهم حتىٰ من الله عليهم بأنواع هدايته فتراكمت علىٰ قلوبهم أنوار المعرفة، وذهبت عنهم وساوس النفس، لأن الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله تعالىٰ[٢]. وقد حذر الله من أهل الأهواء لبعدهم عن الله وتعظيمه وإبعادهم عنه، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

والغفلة والشهوة أصل الشر والعصيان والتجرؤ علىٰ رب العالمين. وقد ذكر ابن رجب أن الشهوة وحدها لا تستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل، فإن صاحب الهوىٰ لو استحضر هذه الأمور المذكورة وكانت موجودة في ذكره[٣]، لأوجبت له الخشية القامعة لهواه، ولكن غفلته عنها مما يوجب نقص إيمانه[٤]. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة]، قال البقاعي: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ستروا ما يعلمون من عظمة الله سبحانه وتعالىٰ وقدرته وعلمه وحكمته بما عندهم من الهوىٰ[٥].

تفريط الوالدين في واجب التربية الشرعية:

كثير من البيوت والأسر يسود فيها انحراف خطير، وتنكب عن الطريقة الشرعية في العيش والحياة، وهذا راجع إلىٰ السبب الأول، فكثير من الآباء لا يبالون بتربية أبنائهم علىٰ تعظيم الله وتعظيم توابع تعظيم الله، إنما هو ربط للأبناء بالدنيا وملذاتها وحسب، ـوقد سبق الكلام

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٥٠٩).
(٢) مفاتيح الغيب (٧/ ٦٣).
(٣) يقصد: العلم بتفاصيل أمر الله ونهيه، والتصديق الجازم بذلك. ومما يترتب عليه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب، مع تيقن مراقبة الله واطلاعه، ومشاهدته، ومقته لعاصيه وحضور الكرام الكاتبين. تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٢٤).
(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٢٤).
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢/ ٣٣١).

علىٰ هذا السبب_، فالوالدان يتحملان القسط الاكبر فيما يقع من الأبناء خصوصا من عدم تعظيم الله، ويتحملان تبعات ذلك أمام الله -عزَّ وجلَّ-. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**كل مولود يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترىٰ فيها جدعاء**»(١).

فالتربية همٌّ، ومن تأمل حال الأنبياء والرسل أدرك حرصهم علىٰ غرس تعظيم الله وتوحيده وشرعه في نفوس أبنائهم، قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾[البقرة]، وقال جلَّ ذكره في شأن ابراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾[الزُّخرُف]، وفي وصايا لقمان لابنه حيث يقول سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾[لقمان]، حيث حرص علىٰ غرس تعظيم الله في نفس ابنه؛ بدءا من التوحيد مرورا بالتزام الشرائع والعبادات والأخلاق. وهذه نصوص تظهر بجلاء أن لتخلي الأسرة والوالدين عن واجب التربية أثر كبير في انحراف الأبناء.

وفي سيرة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما يحثُّ علىٰ غرس معاني التعظيم الالهي في نفوس الناشئة، فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(٢).

---

(١) صحيح البخاري (١٣٨٥).

(٢) سنن الترمذي (٢٥١٦).

فما أجلها من معاني يعلمها النبي ﷺ لغلام لم يبلغ بعد، في حين نجد الآباء اليوم يتركون أبنائهم بدون تربية علىٰ هذه المعاني والقيم بدعوىٰ أنهم لا زالوا صغارا، في الوقت الذي يتربىٰ فيه هؤلاء الصغار علىٰ قيم عدم التعظيم والإجلال من خلال الاعلام ورفقاء السوء وثقافة الشارع. ولو قام الآباء بواجبهم ولم يخونوا الأمانة لكان حال الأمة بخير، ولما كان لمظاهر عدم التعظيم وجود، وإن وجد لم يكون بتلك الحدة والانتشار الرهيب.

الاشتغال بالمدح والثناء:

إن كثرة الحديث عن الناس ومدحهم والثناء عليهم، وإظهار الاجلال والتعظيم والتقدير للبشر، بشكل لا يصدر منه شيء نحو الخالق المعظم سبحانه. لهو وضع يفسد القلوب ويجعل الناس يتنافسون في الظهور بمظهر يجعل الناس يثنون عليهم ويمدحونهم ويعظمونهم، إما بامتلاك المال أو الجاه أو السلطة، أو حتىٰ بإظهار الصلاح والتقوىٰ رياء وسمعة. يقول القائل:

يهوىٰ الثَّناء مُبَرِّزٌ ومُقَصِّرُ حبُّ الثَّناءِ طبيعةُ الإنسانِ

فبهذا ينصرف التعظيم إلىٰ المخلوق بدل الخالق. قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: متىٰ نظر العامل إلىٰ التفات القلوب إليه؛ فقد زاحم الشرك؛ لأنه ينبغي أن يقنع بنظر من يعمل له. ومن ضرورة الإخلاص [ألا يقصد] التفات القلوب إليه، فذاك يحصل لا بقصده، بل بكراهته لذلك[1].

والرياء دليل علىٰ فساد القلب والنية والقصد، ولا يفسد قلب إلا اذا خلا من تعظيم الله، يقول ذو النون المصري: صفة الحكيم: أن لا يطلب بحكمته المنزلة والشرف، فإذا أحب الحكيم الرئاسة زال حب الله من قلبه لما غلب عليه من حب ثناء المستمعين له، فصار لا يلفظ بمسموع ينفع للذي غلب علىٰ قلبه من حب تبجيل الناس له[2].

يقول ابن القيم: فإن الرجل قد يتعاطىٰ فعل الأمر لنظر الخلق، وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع ﷺ، علىٰ المناهي، فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي ولا تعظيم الآمر والناهي[3].

---

(١) صيد الخاطر (٣٧٤).

(٢) شعب الإيمان (٣/ ٢٨٩).

(٣) الوابل الصيب (١٠)

وليس من خصال الذين يرجون الله والدار الآخرة، ويتعارض مع التوجيه الرباني في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، والاشتغال بالمدح والسّعي إليه خصلة أهل النِّفاق الذين لا يعرف التعظيم الىٰ قلوبهم سبيلًا، قال تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

الإعجاب بالمشاهير:

من الفنانين والممثلين والمغنين واللاعبين، فيمتلئ القلب بحبهم والتعلق بهم، إلىٰ درجة العيش علىٰ طريقتهم وتقليدهم في كل شيء، وهذا نتيجة محبة وتعظيم لا ينبغي أن تصرف إلا إلىٰ الله ورسوله. وهو واقع يتنافىٰ مع تعظيم الله وتعظيم نبيه ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]، لأن المحبة دالّة علىٰ التعظيم والإجلال، ومن إجلال الله وتعظيمه تعظيم نبيه محبة واقتداء وطاعة؛ لأن الذي في الآية أمر من الله لنبيه محمَّدا ﷺ أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارىٰ: إن كان الذي تقولونه في عيسىٰ من عظيم القول، إنما يقولونه تعظيما لله وحبا له، فاتبعوا محمدا ﷺ[1]. فلو أحب هؤلاء المعجبون بالمشاهير المقلدون لهم في كل شيء مما هو مخالف لأمر الله ورسوله_ ربهم لاتبعوا نبيه وأطاعوه وأقاموا حياتهم وفق شرعه. فإن المحب لمن يحب مطيع.

نزعة الإرجاء:

فمرجئة هذا الزمان الذين يقررون أن الإيمان تصديق فقط، وأن محله القلب، ولا يهم العمل، ويهملون العبادات القلبية والعملية، كانوا سببًا رئيسًا في ظهور وجود هذه المخالفات، فضعف الخشية من عذاب الله والاغترار برحمته تعالىٰ جرَّأت الناس وجعلتهم لا يبالون ولا يشعرون بالرهبة حين يصدر منهم ما يسيء إلىٰ العظمة الإلهية، وكلما صدر من أحدهم قول أو فعل يعارض واجب التعظيم لرب العالمين إلا وبادر عند الإنكار عليه بالتعذر بسلامة القلب، وأن قلبه عامر ب الإيمان، وأن ما صدر منه لا يعبر عن حقيقة ما في قلبه، وأنه ما أراد إلا الضحك والبسط والتسلية، لكن الأمر ليس كذلك فالله يقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن

(١) جامع البيان (٦/ ٣٢٣).

﴿طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[التوبة]، فالأمر خطير ليس بالهين كما يتصوره أصحاب الإيمان في القلب، لأن الإيمان ان حل بالقلب لا يصدر منه إساءة، ولا يتجلىٰ منه إلا عمل التعظيم وقول التقديس. يقول ابن القيم: وربما اغتر المغتر، وقال: إنما يحملني علىٰ المعاصي حسن الرجاء، وطمعي في عفوه، لا ضعف عظمته في قلبي، وهذا من مغالطة النفس؛ فإن عظمة الله تعالىٰ وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب[١]. ولقد صارت مقولة الإيمان في القلب دون العمل حقيقة لا تناقش وان خالفها العمل جملة وتفصيلا.

إدمان المعاصي:

يؤدي إلىٰ استخفاف العبد بربه، واستهانته بأمره، يقول ابن القيم: فصل؛ المعاصي تضعف في القلب تعظيم الرَّبّ: ومن عقوبات الذنوب أنها تضعف في القلب تعظيم الرَّبّ [٢]، وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد، شاء أم أبىٰ، ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ علىٰ معاصيه، فإن عظمة الله تعالىٰ وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب[٣]. وقال بشرُ بنُ الحارثِ: لو يفكرُ الناسُ في عظمةِ اللهِ لما عصوا الله[٤].

قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطفِّفين]، قال الطبري: غلب علىٰ قلوبهم وغمرها وأحاطت بها الذنوب فغطتها[٥].

فالمعاصي اذن تصرف القلب عن ادراك العظمة الإلهية التي تصرف القلب عن العصيان. فما أشد اشتغال الناس اليوم بالغناء والنظر إلىٰ الحرام من أفلام ومسلسلات والنظر إلىٰ النساء العاريات وشرب الخمر والرقص والمخدرات واكل الربا وقطيعة الرحم، وكل ما يقسي القلوب ويميتها ويطفئ فيها نور الإيمان والهداية، فلا يبقىٰ لتعظيم الله وإجلاله محل في قلوب خربتها المعاصي، بل لا ترىٰ من هؤلاء إلا انتهاكا للحرمات وتدنيسا للمقدسات.

---

(١) الجواب الكافي (٦٩).
(٢) فتح الودود (٤/ ٦١٩).
(٣) الجواب الكافي (٦٩).
(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٢٤).
(٥) جامع البيان (٢٤/ ٢٨٦)

التساهل في إقرار القوانين وتطبيقها من لدن المسئولين:

في حق منتقصي قدر الله تعالىٰ والطاعنين في دينه وكتبه وأنبيائه، وقد قيل من أمن العقوبة أساء الأدب، فالناس حين يرون الله يسب نهارا جهارا، وأن حرماته تنتهك علىٰ مرأىٰ ومسمع من العامة، ولا من يزجرهم أو يأخذ علىٰ أيديهم تطبيقا للقانون، وغيرة لله -عزَّ وجلَّ-، فان ذلك يجرؤهم ويجعل الظاهرة تتسع وتتسع يوما بعد يوم. وقد قال الله تعالىٰ في رجم الزُّناة: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النور: ٢]، قال عبد الملك وابن حبيب: ينبغي أن يكون إقامة الحد علانية وغير سر ليتناهىٰ الناس عما حرم الله عليهم[١].

فلابد من الحزم في إقامة العقوبات في حق كل من يرتكب ما فيه اخلالا بالعظمة الإلهية، ولا يجوز التساهل في ذلك، فهو من باب أبواب تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- ولا إعذار في ذلك كما يقول ابن فرحون: فأما في إقامة الحدود في الإلحاد والزندقة وتكذيب القرآن والرسول عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؛ فلم أسمع به، ولم أره لأحد ممن وصل إلينا علمه[٢]= وذلك في معرض حديثه عن الإعذار في مختلف العقوبات.

(١) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام (٢/ ٢٦٥)
(٢) المصدر نفسه (١/ ١٩٩)

المحور الثالث: الحلول المقترحة لمعالجة ظاهرة عدم تعظيم الله تعالى

هذه جملة حلول مقترحة لعلها تكون نافعة في معالجة الظاهرة إما تقليلا منها أو قطعا لدابرها، وهي مستوحاة من هدايات القرآن الكريم، ومن ذلك:

نشر العلم:

بالعلم يعرف المرء قدرَ ربِّه، فيعظِّم الله، ويُعظِّم ما عظَّم الله، يقول ابن عبد البر: وهكذا ينبغي للعالم أن يحقِر ما حقَّر الله من الدُّنيا، ويزهد فيها. ويعظِّم ما عظَّم الله من الآخرة، ويرغب فيها[1]. ويقول ابن رجب انطلاقا من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ [النساء]: أنَّ من كان عالمًا بالله تعالىٰ وعظمته وكبريائه وجلاله، فإنَّه يهابه ويخشاه، فلا يقع منه مع استحضار ذلك عصيانه[2]. فإذا تجلَّىٰ لقلوب العارفين عظمة الله وجلاله وكبرياؤه؛ اندكت قلوبهم من هيبته، وخشعت، وانكسرت من محبته ومخافته[3].

يقول الشنقيطي في كلمة توجيهية تمتح من قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحُجُرات]: فعلينا معاشر المسلمين أن ننتبه من نومة الجهل، وأن نعظِّم ربَّنا بامتثال أمره واجتناب نهيه، وإخلاص العبادة له، وتعظيم نبيِّنا ﷺ باتباعه، والاقتداء به في تعظيم الله، والإخلاص له، والاقتداء به في كلِّ ما جاء به، ويتركوا ما يسميه الجهلة محبَّة وتعظيمًا وهو في الحقيقة احتقار وازدراء، وانتهاكٌ لحرمات الله، ورسوله ﷺ[4].

والعلم أول مفتاح المعرفة، وأول مأمور به، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد]، فكان الأمر بالعلم بالله

---

(١) التمهيد (٣/ ٢٦٦).

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٢٩٧).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٠٤).

(٤) أضواء البيان (٧/ ٤٠٩).

أوَّلًا قبل العمل، فدلَّ علىٰ أنَّ العمل الذي هو فعل الأمر واجتناب النَّهي الدَّال علىٰ التعظيم لا يحصل إلا بعد العلم بالله. فالإنسان إذا علم أن الله هو المعبود بحق الموصوف بصفات الكمال وعلم أن الرسول ﷺ هو المتبوع بحق وأنه متصف بكمال الأخلاق وعلم أن الحياة متاع الغرور أن الاخرة هي دار القرار كان ذلك داعيا إلىٰ تعظيم الله ومزيد التعظيم. يقول ابن رجب: والمقصود أنَّ العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله من قدره وخلقه، ونحو ذلك مما يوجب خشيته وإجلاله، ويمنع من ارتكاب نهيه، والتفريط في أوامره؛ هو أصل العلم النافع[١].

القيام بواجب الدعوة والتربية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذا دور الآباء أوَّلًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم].

قال زيد بن أسلم: لمَّا نزلت هذه الآية، قالوا: يا رسول الله، هذا وقينا أنفسنا، فكيف بأهلينا؟ قال: «**تأمرونهم بطاعة الله، وتنهوهم عن معاصي الله**»[٢]. وقال عليُّ بن أبي طالب: أدِّبوهم، وعلِّموهم[٣]. وقال قتادة: يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله، يأمرهم به ويساعدهم عليه. فإذا رأيتَ لله معصيةً ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها[٤].

فالوالدين هم المسؤول الأول عن تربية أبنائهم، ومسؤولون عن ذلك أمام الله -عزَّ وجلَّ-، قال ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[٥]، قال الكيا الطبري: فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدِّين والخيرَ، وما لا يستغنىٰ عنه من الأدب، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه][٦].

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٢٤).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٤/ ٥٥٦)، وتفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢/ ٣٨)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٧/ ٢٩٦)

(٣) جامع البيان (٢٣/ ٤٩١)

(٤) المصدر نفسه (٢٣/ ٤٩٢).

(٥) صحيح البخاري (٢٤٠٩)، صحيح مسلم (١٨٢٩).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٩٦).

وهذا أيضا دور الاساتذة والمربين والعلماء وخطباء الجمعة والوعاظ وجمعيات أهلية، امتثالا لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران]، وقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فلا بد لهؤلاء من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يقوموا بتربية الناس عموما والناشئة خصوصا علىٰ محبة الله وتعظيم شأنه، وتعظيم ما عظمه، والتحذير من إهانة الحرمات وتدنيس ما قدس الله، وسب الله ودينه واحتقار شريعته وما يترتب علىٰ ذلك من العقاب الأليم والعذاب الشديد؛ حتىٰ يتربىٰ الناس علىٰ مراقبة الله ومحبته مما يستلزم تعظيم الله، قال ذو النون: علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله[١]. ويقول ابن القيم: المحبة لا تنفك عن تعظيم وإجلال للمحبوب، ولكن يضاف إلىٰ كل ذات بحسب ما تقتضيه خصائص تلك الذات؛ فمحبة العبد لربه تستلزم إجلاله وتعظيمه[٢].

وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية الجميع؛ سواء جهات مختصة أو هيئات معينة أو أفراد. فلا ينبغي السكوت علىٰ مظهر من مظاهر عدم تعظيم الله، بالحكمة والموعظة الحسنة والرحمة بالخلق الذين ساد فيهم الجهل للأسف.

ومن التربية إظهار تعظيم الله علىٰ الملأ؛ أمام الأطفال والطلبة والأبناء والتلاميذ والناس أجمعين، ويكون ذلك من أفاضل العلماء والمربين حتىٰ تكون التربية عملية تطبيقية، والناس يتأثرون بالفعل أكثر ما يتأثرون بالكلام. وهو ما يستفاد من الآية ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ [التحريم: ٦]، فقيل: أظهروا من أنفسكم العبادات ليتعلّموا منكم، ويعتادوا كعادتكم[٣]. ولأنه يلزم من المربين عموما ان يكونوا قدوة حسنة للناس، مصداقا لقوله تعالىٰ في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان]، كما قال عمر بن الخطاب لطلحة بن عبيد الله: إنَّكم أيّها الرّهط أئمة يقتدي بكم الناس[٤].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٦٥)

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٩٤).

(٣) لطائف الإشارات (٣/ ٦٠٧).

(٤) موطأ مالك (١١٦٤).

ولا شك أن جانب الدعوة يحتاج من المخلصين تضحية وجهدا وإنفاقا للوقت والراحة والمال، من أجل بلوغ الأهداف وتحقيق الغايات. لاسيما وأن أهل الباطل الذين يحرضون علىٰ تدنيس المقدسات وإهانة العظمة الإلهية يضحون بكل ما يملكون، وينفقون بسخاء لكل ما يملكون من أجل ذلك، غير أنهم سينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون.

إحياء سيرة رسول الله ﷺ خاصة والأنبياء عامة:

في المجالس والمواعظ والمنتديات واللقاءات والكتاتيب وكل الفضاءات والمناسبات، والتركيز علىٰ مظاهر تعظيمه لله -عزَّ وجلَّ-، باعتباره ﷺ خير من عظم الله وأجله، ليعظم الله في نفوس الناس فيكون لهم في التعظيم قدوة وقد جعله الله كذلك قال تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب]، ولا سيما أن محبته من محبة الله وطاعته من طاعة الله، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران]، وتعظيمه تعظيم لله، ونصرته نصرة لله، فإنه رسوله وعبده الداعي إليه وإلىٰ طاعته ومحبته وإجلاله[1]. وكذلك ذكر قصص الأنبياء ونشرها وربط الناس بها، لأنهم قدوة في ذلك أيضا، حيث إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم، واقشعرت جلودهم، وانكسرت قلوبهم، وطاشت عقولهم إعظاما لله، وإعزازا وإجلالا فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلىٰ الله[2].

مطالعة أحوال السلف في التعظيم:

فالإنسان مجبول علىٰ التقليد، والإعجاب بالشخص مدعاة لتقليده والاقتداء به، ومن تم فإن لسيرة السلف أثر في نفوس قارئيها وسلطة علىٰ عقول المطلعين عليها والمعجبين بها، وإن للسلف القدح المعلىٰ في تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- وتعظيم حرماته. والقرآن لم يقصص علينا قصص السابقين من الانبياء والمرسلين والصالحين إلا لما فيها من العبرة لمن قوي ايمانه وعلت همته، قال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

ملازمة قراءة القرآن وتدبره:

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال]، فإذا ذَكَرَت عظمةَ الله وقدرته، وما خَوَّف به من عصاه، وجلت قلوبهم، أي: فزعت[3].

---

(١) جلاء الأفهام (ص: ٣٩٥).

(٢) جامع البيان (١٨/ ٤٩٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٤٠٠).

فقراءة القرآن والاستماع إليه يزيد الإيمان ويشحذ القلب ويملؤه تعظيما وخشية وإجلالا لله وتعظيما لحرماته وشعائره، يقول ابن القيم: وكذلك تفقد إجابة داعي تعظيم حرمات الله من قلبه هل هو سريع الإجابة لها، أم هو بطيء عنها؟ فبحسب إجابة الداعي سرعة وإبطاء تكون زيادته ونقصانه[١]. يقصد زيادة الإيمان ونقصانه، وذلك يكون بالتدبر في كتاب الله قراءة وإنصاتا. وقد قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]، فلا شيء يغني عن تدبر كتاب الله في إشعار القلوب عظمة الله -تعالىٰ- وخشيته[٢]. يقول ابن رجب: أنَّ العلم بالله والتفكير في عجائب آياته المسموعة المتلوة ونحو ذلك= ممّا يوجب خشيته وإجلاله، ويمنع من ارتكاب نهيه، والتفريط في أوامره[٣].

النظر في المخلوقات والتأمل فيها:

صغيرة وكبيرة، والتأمل في دقّة صنع الله تعالىٰ، والتكامل الذي بين مخلوقاته، وفي نظام الكون وتناسقه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [المُلك]، وقال تعالىٰ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات]: وما أكثر الآيات في القرآن الكريم التي تدعوا إلىٰ التدبر والتأمل في ملكوت الله وخلقه، وذلك من أجل إدراك العظمة الإلهية وحلولها بقلب المتأمل المتدبر من أهل العقل الراشد والفطرة السليمة والقلوب الطاهرة. قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [المُلك]، وإن كان الخطاب متوجها إليه[٤] في الظاهر؛ لأنه إنما أراد بالنظر في خلق الله تعالىٰ؛ ليتقرر عنده عظمة الله تعالىٰ وسلطانه وعجيب حكمته ونفاذ تدبيره، فأمروا بالنظر في ما ذكر؛ ليتقرر عندهم سلطانه ونفاذ تدبيره[٥].

فالتدبر يقود إلىٰ إدراك العظمة؛ يقول النيسابوري في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران]، وإنما وقع الاقتصار علىٰ الدلائل السماوية لأنها أقهر وأبهر، والعجائب فيها أكثر، وانتقال النفس منها إلىٰ عظمة الله أيسر[٦].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٦٥).
(٢) تفسير المنار (٥/ ٢٤١).
(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٢٤.
(٤) أي الرسول ﷺ.
(٥) تفسير الماتريدي (١٠/ ١٠٨).
(٦) تفسير النيسابوري (٢/ ٣٢٨).

ويقول ابن رجب: العلم بالله والتفكير في عجائب آياته المسموعة المتلوة، وآياته المشاهدة المرئية من عجائب مصنوعاته، وحكم مبتدعاته ونحو ذلك مما يوجب خشيته وإجلاله، ويمنع من ارتكاب نهيه، والتفريط في أوامره[١].

الدعوة إلى النظر والتدقيق في حكم وأسرار التشريع والقضاء والقدر:

وذلك بالنَّظر فيما تضمنته المحرمات من مفاسد، وما تضمنته المباحات والمأمورات من مصالح عامة وخاصّة. وأنَّ من أسماء الله الحكيم؛ فهو لا يأمر بشيء ولا ينهىٰ عن شيء إلَّا لحكمة، وأنَّ قضاءه وقدره فيه من الحكم والأسرار ما لا يعلمه إلَّا هو، وذلك أنَّ الله لم يخلق النَّاس عبثًا، ومن ظنَّ ذلك أو ادَّعاه أو عاش حياته كأنَّه خُلِق عبثًا، فقد أساء في حقِّ الله ولم يعظم قدره.

قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون]، يقول الرَّازيُّ: أنَّه تعالىٰ حكيمٌ بإجماع المسلمين، والحكيم لا يفعل إلَّا لمصلحة، فإنَّ مَن يفعل لا لمصلحة يكون عابثًا، والعبث علىٰ الله تعالىٰ محال[٢].

ويقول الطَّاهر بن عاشور عن الحكمة الإلهية في التَّشريع: فقد انتظم لنا الآن أنَّ المقصد الأعظم من الشَّريعة هو جلب الصَّلاح ودرء الفساد. وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان ودفع فساده[٣]. فما من مجال من مجالات الحياة إلَّا وفيه تشريع وفيه حكمة، وإدراكها لا شكَّ يوقع في القلب معاني العظمة والإجلال لربِّ هذه الشَّريعة الباهرة.

أمَّا أسراره وحكمه في القدر؛ فذاك أيضًا بابٌ ما أوسعه، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، يقول ابن القيم: فلو كشف الغطاءَ عن ألطافه وبره وصنعه له من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم لذاب قلبه حبا له وشوقًا إليه ويقع شكرًا له[٤]. وهذه المعاني مما ينبغي بسطه للناس في اللقاءات والمحاضرات والندوات والمواعظ ومختلف المناسبات.

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٢٤).
(٢) المحصول للرازي (٥/ ١٧٣).
(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية (٣/ ١٩٧).
(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (١٨٠).

وسائل الإعلام:

عليها القيام بدور طلائعي تربوي، عوض نشر الانحلال والاستخفاف والازدراء، فعلىٰ الغيورين من أمَّة الإسلام إنشاء قنوات إعلامية وصحف ومجلات ومواقع وإذاعات وتطبيقات إلكترونية، تملأ الفراغ الحاصل في عالم الإعلام، لتكون منصة لتوجيه الناس التوجيه السليم القائم علىٰ تعظيم الله وشرائعه. بالإضافة إلىٰ إعداد كرتون إسلامي للأطفال يتضمن قيم المحبة والإجلال لرب العالمين. وارتباطًا بالإعلام تتولىٰ زمرة من المهتمين إعداد ملصقات ومنشورات تعلق في الفضاءات العامة، وترسل عبر الوسائط التكنولوجية، وتنشر في منصات التواصل الاجتماعي، إبراء للذمة وحرصا علىٰ الخير دون تفويت أي فرصة أو وسيلة يسرها الله في ذلك. فنظرا لدور الاعلام المهم في التوجيه والتاثير حذرالله -عزَّ وجلَّ- من قبول الاخبار والانباء دون التثبت والتبين، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحُجُرات].

دور مؤسسات التربية والتعليم:

المدرسة اليوم هى التى تشكل الأفكار والمواقف، ولها أثر كبير علىٰ عقول الناشئة وأخلاقهم وأفكارهم، فيلزم أن تهيئ البرامج التعليمية والمقررات والمناهج التى تربى الناشئة علىٰ تعظيم الله وقدره حق قدره، في مختلف المواد المدرسة؛ سواء كانت نصوصا أدبية؛ باللغة العربية كانت أو باللغات الأجنبية، أو مواد التاريخ والجغرافيا، أو مواد العلوم التطبيقية التى تظهر للناشئة العظمة الإلهية في مجال الفيزياء والكمياء وعلوم الأحياء والكون، وما فيها من الآيات الباهرة المعجزة الدَّالَّة علىٰ عظيم قدرة الله وبديع صنعه.

إقرار العقوبات الزاجرة وتفعيلها:

لا بد للمسلمين تعظيما للذات الإلهية أن يعملوا علىٰ إقامة العقوبات في حق كل من يصدر منه انتهاك لحرمة أو تدنيس لمقدس أو إخلال بما يقتضيه تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-، لأن ذلك كفيل بردع كل من تسول له نفسه بفعل ما لا يليق بتعظيم الله، وقد قيل: لا ترجع النفوس عن غيِّها، ما لم يكن لها من الله رادع.

فإن لم يردعها جانب التقوىٰ ردعها جانب العقوبات، كما قال عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنَّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. فإنَّ من يكون من المنافقين والفُجّار، فإنَّه ينزجر

بما يشاهده من العقوبات وينضبط عن انتهاك المحرمات فهذا بعض فوائد العقوبات السلطانية المشروعة، قال الله تعالىٰ في رجم الزُّناة: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾ [النور]، قال عبد الملك وابن حبيب: ينبغي أن يكون إقامة الحد علانية وغير سر ليتناهىٰ الناس عما حرم الله عليهم[1]، كما تمت الاشارة اليه في مبحث الأسباب.

(١) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام (٢/ ٢٦٥).

خاتمة

بعد ذا التطواف في محاور البحث يمكن القول بأن ظاهرة عدم تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في المجتمعات المسلمة متفشية بشكل مخيف، حيث تتعدد مظاهرا وتختلف صورها مستوعبة جميع مجالات الحياة، وأن اسباب انتشارها قوية بعضها ذاتي وبعضها موضوعي نتيجة عمل جهات تسعىٰ الىٰ ذلك سعيا حثيثا. وانه من خلال الحلول التي قدمها البحث لو وجدت جهات وهيئات تتبناها وتعمل بجد علىٰ تفعيلها ستكون بحول الله بلسما وترياقا لهذا الداء الذي ينخر جسد الامة.

هذا ما تيسر إيراده، وتهيأ إعداده بتوفيق من الله، وإمداده.

والحمد لله رب العالمين، وصلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبيه الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

١- آداب الصحبة: محمد بن الحسين النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت:٤١٢هـ)، (تح): مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث- طنطا- مصر، (ط١)، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبىٰ بكر القسطلاني (ت:٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرىٰ الأميرية، مصر، (ط٧)، ١٣٢٣ هـ.

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥ مـ.

٤- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان: أبو عبد الله محمد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تح: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفىٰ بن سعيد إيتيم، دار عالم الفوائد-مكة المكرمة، (ط١)، ١٤٣٢ هـ.

٥- إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم: عياض بن موسىٰ اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت:٥٤٤هـ)، (تح): الدكتور يحْيَىٰ إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (ط١)، ١٤١٩هـ-١٩٩٨ م.

٦- إيثار الحق علىٰ الخلق في رد الخلافات إلىٰ المذهب الحق من أصول التوحيد: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، ابن الوزير اليمني، (ت ٨٤٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط٢)، ١٩٨٧م.

٧- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ) (تح): محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، (ط٣)، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٨- الإعلام بما في دين النصارىٰ من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام: أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، (تح) د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي – القاهرة.

٩- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل: موسىٰ بن أحمد الحجاوي أبو النجا (المتوفىٰ:٩٦٨هـ)، تح: عبد اللطيف محمد موسىٰ السبكي: دار المعرفة بيروت – لبنان.

١٠- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية: نجم الدين الطوفي سليمان بن عبد القوي الصرصري، (ت: ٧١٦هـ)، (تح): سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان – الرياض، (ط١) ١٤١٩هـ

١١- الإيمان لابن منده: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن مَنْدَه العبدي (ت: ٣٩٥هـ)، (تح): د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط٢)، ١٤٠٦.

١٢- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٣- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، (تح): صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، (ط) ١٤٢٠ هـ.

١٤- البيان والتحصيل: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: ٥٢٠هـ)، تح: د محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، (ط٢)، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م.

١٥- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت: ٧٩٩هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية، (ط١)، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٦- تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، (ط١)، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٧- تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي: المؤلف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: غراس للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨- تفسير آيات من القرآن الكريم (ضمن مؤلفات): محمد بن عبد الوهاب النجدي (ت: ١٢٠٦هـ)، (تح): الدكتور محمد بلتاجي، جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٩- تفسير الفاتحة والبقرة: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، (ط١)، ١٤٢٣ هـ.

٢٠- تفسير القرآن من الجامع لابن وهب: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت:١٩٧هـ)، (تح): ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، (ط١) ٢٠٠٣ م.

٢١- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (المتوفىٰ: ١٣٥٤ هـ)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، نشر: ١٩٩٠ م

٢٢- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانىٰ (ت: ٥٠٢ هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٩٨٣ م.

٢٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذىٰ هو حق الله علىٰ العبيد: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٣٣ هـ)، تح: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، (ط١)، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

٢٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦ هـ)، (تح): عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (ط١) ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م.

٢٥- التاج والإكليل لمختصر خليل: محمد بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (ت: ٨٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، (ط١) ١٤١٦ هـ-١٩٩٤م.

٢٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، (ط٢)، ١٤١٨ هـ

٢٧- التمهيد لشرح كتاب التوحيد: دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم طُبعت، دار التوحيد، (ط١)، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م

٢٨- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣ هـ)، ت: مصطفىٰ بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

٢٩- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، نشر: ١٩٨٤ هـ.

٣٠- التيسير بشرح الجامع الصغير: زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي القاهري (ت: ١٠٣١ هـ)، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، (ط٣)، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م.

٣١- التوضيح لشرح الجامع الصحيح: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي (ت: ٨٠٤هـ) (تح): دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، (ط١)، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م.

٣٢- جامع العلوم والحكم: زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، (تح): شعيب الأرناؤوط-إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط٧)، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٣٣- جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، (تح): شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، (ط٢) ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

٣٤- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، (ط٢)، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م.

٣٥- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار المعرفة – المغرب، (ط)، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٦- حاشية العدوي علىٰ شرح كفاية الطالب الرباني: أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي (ت: ١١٨٩هـ)، (تح): يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر – بيروت، (ط): بدون طبعة، نشر: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣٧- الذخيرة: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، القرافي (ت: ٦٨٤هـ)، (تح): محمد حجي، سعيد أعراب، محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي- بيروت، (ط١)، ١٩٩٤ م.

٣٨- روائع التفسير: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة-المملكة العربية السعودية، (ط١): ١٤٢٢ه-٢٠٠١ م.

٣٩- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي، (ت: ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت.

٤٠- الزهد والرقائق:أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ)، (تح): حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، (تح): شعَيب الأرنؤوط-محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، (ط)، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م.

٤٢- سنن الترمذي: محمد بن عيسىٰ الترمذي، أبو عيسىٰ (ت: ٢٧٩هـ)، (تح): بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، نشر١٩٩٨م.

٤٣- شرح صحيح البخاري لابن بطال: ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف (ت: ٤٤٩هـ)، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد-السعودية، الرياض، (ط)، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٤٤- السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، نشر: ١٢٨٥ هـ.

٤٥- شرح رياض الصالحين: محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، (ط)١٤٢٦ هـ.

٤٦- شرح سنن أبي داود: بدر الدين العينىٰ، أبو محمد محمود بن أحمد الحنفىٰ (ت: ٨٥٥هـ)، (تح): أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد – الرياض، (ط)، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م.

٤٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: أبو القاسم هبة الله بن الحسن، اللالكائي (ت: ٤١٨هـ)، تح: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، (ط٨): الثامنة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٨- شعب الإيمان: أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، تح، الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ومختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، (ط١)، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣ م.

٤٩- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (تح): محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط١)، ١٤٢٢هـ.

٥٠- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، (تح): محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥١- صحيح الجامع الصغير وزياداته: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

٥٢- صيد الخاطر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم – دمشق (ط١)، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٥٣- الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، (تح): علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط١)، ١٤٠٨هـ.

٥٤- طريق الهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، مصر، (ط٢)، ١٣٩٤ه..

٥٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بدر الدين العينىٰ (ت: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف علىٰ طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٥٧- فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧ هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، نشر: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢ م.

٥٨- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: محمد بن صالح العثيمين، تح وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، (ط١)، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م.

٥٩- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (ت ١٢٨٥)، (تح): محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، (ط٧)، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

٦٠- فتح الودود في شرح سنن أبي داود: أبو الحسن السندي، (تح): محمد زكي الخولي، (مكتبة أضواء المنار-المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية)، (ط١)، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠ م.

٦١- فيض القدير شرح الجامع الصغير:المؤلف: زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرىٰ، مصر، (ط ١)، ١٣٥٦

٦٢- الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط٢)، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣ م.

٦٣- لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، (تح): إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، (ط٣) .

٦٤- مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣ هـ)، (تح): محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، نشر: ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤ م.

٦٥- منتهىٰ السؤل علىٰ وسائل الوصول إلىٰ شمائل الرسول صلىٰ الله عليه وآله وسلم: عبد الله بن سعيد بن محمد المراوعي، ثم المكي (ت ١٤١٠ هـ)، دار المنهاج – جدة، (ط٣)، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

٦٦- المحصول: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دراسة وتح: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، (ط٣)، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.

٦٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت:٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط٢) .

٦٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، (تح): شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (ط١)، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١ م.

٦٩- مسند البزار (البحر الزخار): أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ)، (تح): محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، (ط١)، (بدأت ١٩٨٨ م، وانتهت ٢٠٠٩م)

٧٠- المسند للشاشي: أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي (ت: ٣٣٥هـ) (تح): د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، (ط١)، ١٤١٠ه.

٧١- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية-بيروت، (ط١)، ١٤١٥ هـ.

٧٢- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي (ت ٧٧٥هـ)، (تح): الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت/ لبنان، (ط١)، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م.

٧٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر عد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، (ت): محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط٣)، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م

٧٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت:١٣٧٧ هـ)، (تح): عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، (ط١)، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠ م.

٧٥- مفاتيح الغيب = التفسير: أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧٦- معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)، (تح): عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، (ط)١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م

٧٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

٧٨- نيل الأوطار: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، تح: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، (ط١)، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٧٩- الوسيط في تفسير القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تح وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ط١)، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م

٨٠- الوابل الصيب من الكلم الطيب: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تح: سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة، رقم (ط٣)، ١٩٩٩ م

٨١- الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم (شرح لمتني الجزرية وتحفة الأطفال): أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط١)، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

الموضوعات

المقدمة	٢
المحور الأوّل: مظاهر عدم تعظيم الله في المجتمعات المسلمة	٤
المحور الثّاني: من أسباب تعظيم الله تعالىٰ	٢٩
المحور الثّالث: الحلول المقترحة لمعالجة ظاهرة عدم تعظيم الله تعالىٰ	٣٨
خاتمة	٤٦
المصادر والمراجع	٤٧
الموضوعات	٥٥